(٢) مجمع القسطنطينية المسكونى الثانى

عرفنا كيف واجهت الكنيسة الهراطقة، وكيف بذلت كل جهدها فى شجب ودحض هر
البدع، وتلك الهرطقات الزائفة. وكيف إنبرى آباء الكنيسة أصحاب الإيمان المستقيم، لهؤ
الذين عملوا على إحداث إنقسامات وإنشقاقات داخل الكنيسة الواحدة الوحيدة. وعرفنا كي
كانت الأريوسية هى أخطر هذه الهرطقات وأشدها. فقد أخذ من جهد الكنيسة فى مقاومته
أكثر من سبعين عاماً... فكم من مجامع هنا وهناك، تؤيد وتشجب وتحرم وتعفو.. وكم من آ
جاهدوا وناصروا وكافحوا، وعزلوا ونفوا، وعادوا وكتبوا وسجلوا... وكم من قوانين إيمان
صدرت. منها ما هو سليم، ومنها ما هو غير سليم أو منحرف. منها ما إتفق عليه الآبا
ومنها ما رفضوه.. وكم من تدخلات من قبل الملوك والأباطرة، بسلطان وبحق وبغير حق.
لمناصرة فريق دون الآخر... وكم من قرارات صدرت ونفذت. وأخرى صدرت ولم تطبق. ومن
ما هو حق وآخر باطل وضلال.

لاشك أن كل هذا العناء، وكل هذا الجهد، وكل هذا الكفاح من أجل حفظ الإيمان وحما
هو بكل يقين دليل على عمل الله فى الكنيسة عند مواجهتها للهراطقة لتأكيد إيمانها السليم.

وقد شاء للكنيسة بعد صراعها الطويل مع الأريوسية، أن لا تنعم بالسلام والهدوء، حت
ظهرت هرطقات جديدة، أزعجت الكنيسة من جديد، وإستوجبت أن تعود لتواجه هذا الخط
الجديد وتؤكد مسيرتها الإيمانية.

أعداء الثالوث القدوس

ثلاث هرطقات خطيرة كانت تمس الثالوث القدوس أو أحد الأقانيم، ولقد إهتزت الكني
كلها لكى تدافع عن الثالوث القدوس وعن إيمانها فى الله.

فالهرطقة الأولى إبتدعها بطريرك كرسى القسطنطينية مقدونيوس الذى أنكر ألوهية الر
القدس، وإعتبره مخلوقاً يشبه الملائكة، ولكنه نو رتبة أسمى منهم، وذلك ليكون خادماً للإبن(١).

ومن المعروف أن مقدونيوس بدأ يروج لبدعته بعد أن عزل وطرد من كرسيه عام ٣٦٠
وقد قام البابا أثناسيوس الرسولى بعقد مجمعاً فى الإسكندرية عام ٣٦٢. وفند هذه البد
وحكم بحرم مقدونيوس وبدعته. وتبعه أساقفة كثيرون... إلا أن مقدونيوس، عاد وأثار بد

(١) القس ميخائيل مينا: علم اللاهوت: المجلد الثانى ١٩٧٥.

التى بدأت فى الإنتشار، وسببت قلقاً لكل الكنائس شرقاً وغرباً، وتبادل الأساقفة الرسائل
التى توضح إيمان الكنيسة تجاه الروح القدس.. ويذكر أن مقدونيوس قد عُرف بلقب "عدو
الروح القدس".

أما الهرطقة الثانية إبتدعها أبوليناريوس أسقف مدينة اللاذقية بسوريا حيث علم بأن
لاهوت السيد المسيح قد قام مقام الروح الجسدية، وأنه تحمل الآلام والصلب والموت عن الجسد
الإنسانى. وأيضاً نادى بأن هناك تفاوتاً بين الأقانيم الثلاثة. فالروح القدس عظيم ولكن الإبن أعظم
أما الآب فهو الأعظم(١)...

وأيضاً شجب البابا أثناسيوس هذه البدعة فى مجمع عام ٣٦٢م بالإسكندرية وحرم
أبوليناريوس وتعاليمه. ولكن هناك مَن أعتنق هذه التعاليم الفاسدة وزادوا عليها كثيرا.

والهرطقة الثالثة جددها المبتدع أوسابيوس عن تعاليم سابليوس فقد علم أن الثالوث
القدوس أقنوم واحد. ظهر فى العهد القديم كأب وصار إنساناً فى العهد الجديد بصفة الإبن.
وحل على الرسل فى علية صهيون بصفة الروح القدس(٢).

المجمع المسكونى الثانى

إزاء هذه التعاليم المنحرفة، وحرص الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير (٣٧٨-٣٩٥) فى
تأكيد وتدعيم وتأصيل إيمان نيقية، فى كل الكنائس فى الشرق وفى الغرب، دعا إلى عقد
المجمع المسكونى فى مدينة القسطنطينية العاصمة لوضع حداً لهذه الهرطقات التى تتعرض
للثالوث القدوس.

وفى شهر مايو من عام ٣٨١م، إنعقد المجمع المسكونى الثانى فى مدينة القسطنطينية
وبحضور ١٥٠ أسقفاً من بينهم: البابا تيموثاؤس الأول، القديس كيرلس أسقف أورشليم،
القديس ملاتيوس أسقف أنطاكية، غريغوريوس أسقف نيصص وشقيق القديس باسيليوس
الكبير، غريغوريوس الناطق بالإلهيات، نكتاريوس الذى صار أسقفاً لكرسى القسطنطينية فى
هذا المجمع، أمفيلوسيوس أسقف إيقونية، بيلاجيوس أسقف اللاذقية، أكاكيوس أسقف حلب،
جلاسيوس أسقف قيصارية فلسطين، اسكوليوس أسقف تسالونيك، وثيؤدورس أسقف
طرسوس. ولم يحضر أحد من أساقفة الغرب، رغم توجيه الدعوة لهم. كما أن داماسوس
أسقف روما لم يحضر ولم يرسل مندوباً عنه، غير أنه قبل كل قرارات هذا المجمع...

(١) المرجع السابق.
نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى: مذكرة فى الأبوليناريوسية.
(٢) القس كرلس الأنبا

إفتتح الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير الجلسة الأولى بكلمة ناشد فيها الآباء المجتمعين ضرورة إنهاء مسألة الإيمان الكنسى بتأييد قانون إيمان نيقية، والنظر فى الهرطقات والبد التى تعمل على إنشقاق الكنائس وإنقساماتها. إلى جانب حسم مشكلة كرسى القسطنطينية

تولى القديس ملاتيوس أسقف أنطاكية رئاسة جلسات المجمع، نظراً لكبر سنه ولجها الطويل ضد الأريوسية.. ولكنه مرض أثناء إنعقاد المجمع ثم رقد فى الرب. فرشح المجتمع القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس لرئاسة المجمع، ولكن بعد إختيار نكتاريوس أسق للقسطنطينية، رأس هو المجمع بموافقة جميع الآباء وفى مقدمتهم البابا تيموثاوس الأول(١).

بعد حل مشكلة كرسى القسطنطينية بإختيار نكتاريوس، ناقش المجمع هرطقة مقدونيو حيث دُعى هذا المبتدع لعرض وشرح إعتقاده الفاسد أن الروح القدس مخلوق. وعبثاً حا آباء الكنيسة إقناعه بخطأ عقيدته تجاه طبيعة الروح القدس، لكنه أصر على أفكاره وتعال فلم يجد المجمع سوى إتخاذ قرار بحرمه وقطعه من شركة الكنيسة..

ثم شكل المجمع لجنة آبائية مجمعية لصياغة نصاً يعبر عن إيمان الكنيسة فى الر القدس بأنه الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس، وأنه مساو للآب والإبن فى الجوهر الإلهى.

فكتبت هذه اللجنة النص الذى أضيف إلى قانون الإيمان النيقاوى وهو: (نعم نؤ بالروح القدس، الرب المحيى، المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والإبن، الناطق الأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغ الخطايا، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين)(٢).

ثم أنتقل المجمع لمناقشة هرطقتى أبوليناريوس وأوسابيوس وقرر حرمانهما وقطعهما شركة الكنيسة.

وقبل إنتهاء المجمع المسكونى الثانى، وضع الآباء المجتمعون سبعة قوانين لسيا الكنيسة، تؤكد التمسك بقانون إيمان نيقية، ورفض التعاليم الغريبة، وما يجب إتخاذه رجوع الهراطقة أو أتباعهم إلى الإيمان الأرثوذكسى القويم.. ونذكر هنا كم كانت إج البابا تيموثاوس الأول على الأسئلة التى طرحت عليه اعتبرت قوانين للكنيسة.

إلا أن مناقشة وضع الكراسى الرسولية وترتيب أولوياتها، أثار بعض المشاكل بين الآ حيث رأى البعض أن كرسى روما له المرتبة الأولى ثم كرسى القسطنطينية (روما الجديدة

كرسى الإسكندرية (القانون الثالث...) وعليه عارض البابا تيموثاوس هذا القانون وهذا الترتيب للأسباب الآتية:

١- أنه لا مبرر لإقحام الكراسى الدينية فى الرفعة والكرامة المدنية.

٢- أن مجمع نيقية المسكونى الذى تصدى لتحديد مناطق نفوذ الكراسى الرسولية، لم يدون فى قوانينه ما يثبت تقدم أحد الكراسى على سواه، بل جعل جميع الكراسى فى مرتبة واحدة.

٣- أنه لم يكن فى القوانين السابقة ما يمنح روما الكرامة الأولى، حتى يمكن وضع هذا القانون الذى يعطى لكرسى القسطنطينية الكرامة الثانية بعدها.

وإذ لم يأخذ الأساقفة بإحتجاج البابا تيموثاوس وأساقفة مصر، على هذا القانون، حيث كانوا يسعون لكسب رضا الإمبراطور.. أعلن البابا إنسحابه من المجمع، وعاد إلى كرسيه بالإسكندرية(١).

وأخيراً قام أعضاء المجمع بإختيار فلافيانوس أسقفاً لأنطاكية عوضاً عن ملاتيوس.. ثم رُفعت قرارات المجمع وقوانينه إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الذى إعتمدها، وأخذت بها جميع كنائس العالم فى الشرق والغرب.

المسيحية الدين الرسمى للدولة

عرفنا سابقاً أن الإمبراطور قسطنطين الكبير عندما إلتقى مع إمبراطور الشرق ليكينوس فى ميلان عام ٣١٣، أصدرا مرسوماً مشتركاً يعلنا فيه التسامح الدينى فى الإمبراطورية بجميع ولاياتها الشرقية والغربية، وإعتبار المسيحية ديناً معترفاً به كبقية الأديان الأخرى مثل اليهودية والوثنية(٢).

ولكن الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير، قام بخطوة أكثر قوة وأكثر تعبيراً عن إيمانه، فقد أصدر إعلاناً فى يوليو عام ٣٨١م وفى أعقاب إنتهاء المجمع المسكونى الثانى فى القسطنطينية يعلن فيه إعتبار المسيحية هى الدين الرسمى للإمبراطورية. ثم تلاه بمرسوم آخر فى عام ٣٨٣م يقر فيه أن النيقية هى المسيحية الحقة وأن كل ما خرج عن هذا الإيمان يعتبر إنحرافاً. كما قرر حرمان كل الفرق المسيحية الخارجة عن النيقية من ممارسة طقوسهم أو نشر عقائدهم أو سيامة أحد منهم أكليروساً. بل وتجريدهم من كنائسهم، وتهديد المخالفين بأقسى أنواع العقاب(٣).

١) ما يؤكد أن هذا القانون لكتب له الإمبراطور وليس لمجد الله. أن كرسى القسطنطينية خرج منه الهراطقة والمبتدعون الذين أتعبوا الكنيسة كلها مثل مقدونيوس.. نسطور.. أوطاخى.

٢) راجع كتابنا: الكنيسة تواجه الوثنية.

وهكذا حقق الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير ما لم يستطع أن يحققه الإمبراطور قسطنط
وأولاده، تجاه وحدة الكنيسة القائم على إيمان نيقية. وبالرغم من محاولات بعض الأريوسي
من إستعادة سيادتهم، إلا أن الإمبراطور ثيؤدوسيوس كان لهم بالمرصاد، وإخماد شغبه
والقضاء عليهم قضاءاً مبرماً.

- **موت جراتيان** الإمبراطور الغربي

كانت الأوضاع السياسية فى النصف الغربى من الإمبراطورية غير مستقرة. نظ
للحروب الأهلية، والإضطرابات الداخلية، مما أضعف من سلطة الحكومة.. فضلاً عن ضع
شخصية الآباطرة فى الغرب عنهم فى الشرق.

لذلك قام الثائرون بقتل الإمبراطور الغربى جراتيان عام ٣٧٨م وإستولى ماكسيمو
قائدهم على السلطة وخاصة فى غالة (فرنسا حالياً) فى حين أعلن فى روما ڤالنتيان الثا
إمبراطوراً للغرب.

أما الإمبراطور ثيؤدوسيوس، فلم يعترف بقاتل جراتيان، ماكسيموس وعقد العزم ع
القضاء عليه، ولكن فى الوقت الذى يراه مناسباً، خاصة وأنه كان مشغولاً بمشاكله ع
الجبهة الفارسية(١).

- **نياحة البابا تيموثاؤس**

أما البابا تيموثاؤس الأول، فبعد عودته من مجمع القسطنطينية ركن فى مد
الإسكندرية، وعمل على ترميم الكنائس التى خربت من الإضطهاد الأريوسى. كما قام بتع
شعبه أصول الإيمان القويم. إلى جانب كتابة العديد من سير الآباء القديسين النساك الذ
يعيشون فى البرارى والقفار لتُحفظ بالكنيسة. ومن هذه السير المقدسة. سيرة القديس أبو
الذى شُبه بالملائكة(٢).

وبعد أن أكمل جهاده، وأتم رسالته على خير وجه، رقد فى الرب وإنتقل إلى كنيسة الأب
السمائية فى العشرين من يوليو عام ٣٨٥م بعد أن جلس على كرسى القديس مار مرقس
سنوات وأربعة شهور وستة أيام، ودفن بجوار أسلافه البطاركة فى كنيسة الإسكندرية.

٣ اليتيم بطريركاً

فى مدينة ممفيس العاصمة الفرعونية القديمة (حالياً ميت رهينة بالجيزة) كان يعيش رجلاً تقياً مع زوجته الفاضلة فى مخافة الرب. وقد رزقهما الرب بطفلين . حرص كل منهما على تربيتهما التربية المسيحية . والحياة الكنسية . ولكنهما انتقلا إلى السماء . تاركين الطفل وأخته فى رعاية الجارية الحبشية الجنسية .

وفى إحدى الليالى . أخذت الجارية الطفلين ، وذهبت بهما إلى هيكل للاوثان، لكى تؤدى عبادتها الوثنية . فلما دخل الطفلان إلى الهيكل الوثنى، سقطت الأصنام على الأرض وتحطمت . فهربت الجارية بالطفلين إلى مدينة نيقوس (١) خوفاً من إنتقام كهنة الوثنيين.

مع البابا أثناسيوس الرسولى

مكثت الجارية والطفلان زمانا كثيراً فى مدينة نيقوس، إلا أنها شعرت بعدم الإرتياح والخوف على الطفلين . فعقدت العزم على الذهاب إلى الإسكندرية . وهناك ذهبت إلى كنيسة السيدة العذراء أم النور التى بناها البابا ثاؤنا السادس عشر (٢٨٢ - ٣٠١) .

وكان البابا أثناسيوس الرسولى يصلى القداس الإلهى . وكشف له الرب أمر وحقيقة هذين الطفلين . فأرسل أحد الشمامسة إلى الجارية ، وأخبرها بضرورة الإنتظار لحين الإنتهاء من خدمة القداس ومقابلة قداسة البابا .

ولما إنتهت الصلوات . تقابل البابا أثناسيوس مع الجارية والطفلين . وأخبرها بكل ما حدث فى هيكل الأوثان . فتعجبت لمعرفته هذا السر . فأمنت ونالت سر المعمودية . وطلب منها بقاء الطفلين تحت عنايته الخاصة . وكان هذان الطفلان هما ثيؤفيلس وأخته التى صارت أماً لقديس كيرلس عمود الدين (٢) .

أدخل البابا أثناسيوس الفتاة ديراً للعذارى . ومكثت هناك تتلقى كل الرعاية الروحية إلى أن زواجها من رجل تقى وبار من بلدة ديدوسيا أو دقلا بالقبطية (وهى إحدى قرى مدينة قفط الكبرى حالياً)(٣) ومنه أنجبت إبنها كيرلس الذى صار بطريركاً للكنيسة بعد نياحة خاله البابا ثيؤفيلس .

(١) نيقوس هى ذاردة دارين حالياً بالمنوفية . ويذكر أن أسقفها القديس يوحنا هو كاتب سيرة البابا ثيؤفيلس ، وتعتبر كتاباته من أدق المصادر التاريخيه

(٢) نير المحرق - البابا ثيؤفيلس البطريرك الإسكندرى الثالث والعشرون ١٩٩٠ .

(٣) يوسف باقى : القديس كيرلس عمود الدين ، إصدار [illegible] ١٩٨٦

أما ثيؤفيلس فقد إهتم البابا أثناسيوس بتعليمه وتتلمذ لقداسته فى كل الأمور اللاهوتية وإذ كان ينمو فى النعمة والمعرفة . قام البابا بسيامته وإتخذه سكرتيراً خاصاً لقداسته.

وبعد نياحة البابا أثناسيوس عام ٣٧٣م . ظل الأب ثيؤفيلس يخدم فى الإسكندرية فى أيا حبرية البابا بطرس الثانى والبابا تيموثاؤس الأول . حتى أنه نال محبة الجميع ، وصار له كل قلب مكانة عظيمة . نظراً لقداسته وتقواه وحكمته العالية ، إلى جانب عمق معرفته وثقافته

على كرسى مارمرقس

عندما تنيح القديس البابا تيموثاؤس الأول ، إجتمعت كلمة الآباء الأساقفة والشعب ع إختيار القس ثيؤفيلس سكريتر قداسة البابا لكى يجلس على كرسى مارمرقس الرسول خل للبابا الراحل .

وفى إحتفال كنسى كبير فى ٢٣ من شهر مسرى عام ٣٨٥م سام الآباء الأساقفة المخ من الله الأب ثيؤفيلس بطريركاً لكنيسة الإسكندرية وأجلسوه على الكرسى الرسولى . فك البابا والبطريرك الثالث والعشرون فى عداد بطاركة الكنيسة . وفى عهد الإمبراط ثيؤدوسيوس الكبير .

الإهتمام بالرعية

منذ أن إعتلى البابا ثيؤفيلس كرسى البطريركية ، أولى كل إهتمامه برعيته ، س بإفتقاده ورحلاته الرعوية لكل البلاد فى أرجاء مصر . أو بسيامته للآباء الأساقفة من الر المشهورين والمشهود لهم بالتقوى والقداسة . أو بتعاليمه وعظاته وكتاباته ورسائله أو القو التى وضعها لتدبير وترتيب شئون الكنيسة . فضلاً عن إهتماماته ببناء الكنائس فى كل م إذ كان محباً للتعمير .

ومن الروايات اللطيفة عن البابا ثيؤفيلس وتعمير الكنائس . أنه كان جالساً فى الحد الخاصه بالبابا أثناسيوس الرسولى ومعه بعض الرهبان . ثم ذكر البابا ثيؤفيلس أن القديس أثناسيوس كان يتمنى بناء كنيسة على إسم القديسين يوحنا المعمدان واليشع ا فى هذا المكان . وخاصة بعد إزالة تلال الرمال الموجودة بها . واليوم يريد أن يحقق الرغبة التى لأبيه .. وكان يتحدث عن هذه الأمنية كثيراً .

وكانت فى مدينة الإسكندرية إمرأة غنية ، جاءت من بلادها روما مع ولديها لتعيش مصر بعد وفاة زوجها ... فلما سمعت عن رغبة قداسة البابا ، تقدمت إليه ، وأبدت إستعد

وبدأ العمل فى إزالة هذه الأكوام الرملية ، وتهيئة المكان لبناء هذه البيعة المقدسة . وأثناء عمليات الحفر فى الأرض ، لوضع الأساسات . وجد العمال كنزاً يرجع تاريخه إلى عصر الإسكندر الأكبر (٣٣٢-٣٢٣ ق.م)، وقد غُطى هذا الكنز ببلاطة نقش عليها ثلاثة أحرف ثيطا القبطية (Θ). فلما رأى البابا ثيؤفيلس ذلك ، شعر بالروح أن هذا الكنز عطية من السماء لتحقيق رغبته فى بناء الكنيسة . ولأن حرف الثيطا يربط بينه وبين الإمبراطور ثيؤدوسيوس ، رغب فى أن يقتسم الإمبراطور معه هذا الكنز . فأرسل إليه وأبلغه بذلك ...

ولما جاء الإمبراطور ثيؤدوسيوس إلى الإسكندرية ، وعاين بنفسه مسألة الكنز ، وشاهد الأموال الكثيرة المحفوظة ، إقتسم الكنز مع قداسة البابا الذى إستخدم نصيبه فى بناء كنيسة يوحنا المعمدان واليشع النبى . كما بنى أيضاً بعض الكنائس فى مناطق أخرى بالإسكندرية . (١)

البابا والخمس مدن الغربية

من المعروف أن الخمس مدن الغربية والتى تقع فى أقليم برقة بليبيا، ترتبط بالكرسى المرقسى وكنيسة الإسكندرية منذ كرازة كاروزنا العظيم مارمرقس الرسول. فيها ولد القديس مارمرقس وهى التى بشرها بالإيمان قبل حضوره إلى مصر ، وهى التى عاد وإفتقادها وسام لها الرعاة والكهنة والخدام . وهذه المدن هى : القيروان (حالياً الشحات) - برنيق (حالياً بنى غازى) - برقة (حالياً المرج) - طوشيرا (حالياً توكره) - أبولونيا (حالياً سوسه) ... وهذه المدن تتبع كرسى الإكسندرية كما جاء فى القانون السادس لمجمع نيقية المسكونى عام ٣٢٥م وحضره ٣١٨ أسقفاً من كنائس العالم كله وهذا نصه : "لفتحتفظ السنن القديمة التى فى مصر وليبيا والخمس مدن الغربية فى أن أسقف الإسكندرية يكون له السلطان على هذه كلها" (٢)

ويذكر للبابا ثيؤفيلس إهتمامه بهذه المدن الخمس بسيامة الآباء الأساقفة وحل مشاكل شعبها ومن أشهر الأساقفة لهذه الإيبارشية الأسقف سينسيوس الذى سامه البابا ثيؤفيلس عام ٤١٠م بناء على تذكية الشعب له ، وقد كتب رسالة مطولة لقداسة البابا يشرح فيها وضاع الكنيسة هناك وإحتياجاتها (٣)..

ومما هو جدير بالذكر أن الكنيسة هناك ظلت لأجيال كثيرة بدون رعاية أو خدمة ، فكتب الأنبا شنوده أسقف التعليم (حالياً قداسة البابا شنودة الثالث) عام ١٩٦٨م يقول "وظلت هذه المدن تابعة زمناً طويلاً للكرسى المرقسى. نرجو من الرب أن يعطى نعمة لكنيستنا لتقوم بعملها فى الخمس مدن الغربية ، لئلا نخجل من وجه مارمرقس الذى سيقول لنا ... لقد ستودعكم أمانة ، فماذا فعلتم بها؟! .. (٤) .. ولكن بعد ثلاث سنوات كان الأنبا شنوده يجلس

---

(١) القس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية .
ويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ، أعده للنشر الراهب صموئيل السرياني المتنيح الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر .
(٢) تيافة الأنبا شنوده : مرقس الرسول ١٩٦٨ .
(٣) د.ميخائيل مكسى : تاريخ كنيسة بنتابولس ١٩٨٧ .

بطريركاً على كرسى مامرقس فى ١٤ نوفمبر سنه ١٩٧١م ، وكان أول عمل رعوى لقدا
هو سيامة نيافة الأنبا باخوميوس أسقفاً للبحيرة والخمس مدن الغربية فى ١٢ ديس
١٩٧١ ثم رقاه لدرجة المطران فى ٢ سبتمبر ١٩٩٠ . كما زار قداسة البابا هذاه المدن
١٩٧٢م و عام ٢٠٠٣م ، وهكذا عملت النعمة الإلهية فى كنيستنا لتواصل مسيرتها الر
فى هذه المدن الخمس ...

العذراء أم النور والبابا

كان البابا ثيؤفيلس يقوم برحلة إفتقادية من الإسكندرية إلى أسوان من أجل بناء م
للغرباء والمرضى ، وتحويل المعابد الوثنية إلى كنائس بناء على رغبة الإمبراطور ثيؤدوس
الكبير . فضلاً عن العناية بالفقراء والمحتاجين والمساكين .. وأثناء عودته من أسوان وزيا
للكنائس والأديرة فى صعيد مصر . أشار إليه الآباء الأساقفة المرافقون له ، بضرورة ز
كنيسة السيدة العذراء بجبل قسقام (دير المحرق) لنوال بركة هذا المكان المقدس الذى تد
بوجود العائلة المقدسة فيه أثناء هروبها من وجه هيرودس الملك .

ولما ذهب قداسة البابا إلى هناك ، وجد الكنيسة فى حالة يرثى لها من الفقر ، ولا تتنا
مع كرامة هذا المكان . ورغب قداسته فى بناء كنيسة جديدة على اسم العذراء أم النور بد
هذه الكنيسة . وكانت هذه الزيارة قبل عيد نياحة القديسة العذراء فى ٢١ طوبة بثلاثة أيام

وفى ليلة العيد، دخل البابا ثيؤفيلس ليصلى منفرداً فى المكان الذى كانت تجلس
العذراء أم النور مع رب المجد يسوع .. وإذ بأم النور تظهر لقداسة البابا فى رؤيا. وأخ
برغبتها فى إبقاء هذه الكنيسة بهذا الوضع البسيط لتكون شاهدة لإتضاع إبنها الرب
المسيح . كما تكلمت العذراء مع قداسته عن تفاصيل رحلة الهروب والمجىء إلى مص
والإقامة فى قسقام ، وذلك بناء على سؤال قداسته لها .

وبالفعل عزف البابا ثيؤفيلس عن فكرة بناء الكنيسة الجديدة ، وأوصى بأموال ك
للمكان تصرف على المنشآت الأخرى ، ومساعدة الفقراء الموجودين بالمنطقة (١)

البابا وأباء البرية

عرفنا أن البرارى والصحراء المصرية قد إمتلأت بالآباء النساك والمتوحدين. كما أ
العديد من الأديرة للرهبان والراهبات . وكان هذا النمو وهذا الإزدهار يمثل عصراً ذهبياً ل
القبطية شهد لها العالم أجمع . وأخذت منها جميع الرهبانيات بأنواعها فى كل المسكونة .

وفى نفس الوقت كانت هناك علاقة مستمرة ووطيدة ونامية بين قداسة البابا وآباء ال

ن تدعيم هذه العلاقة كان حتمياً وضرورة من أجل حفظ الإيمان وتعاليم الكنيسة . إلى
انب بناء وتكوين الشخصيات الكنسية الروحية التى تقود شعب المسيح نحو الملكوت .

كان البابا ثيؤفيلس رغم مشاغلة الرعوية ومسئولياته الكثيرة . حريصاً على الذهاب بصفة
نتظمة وكل فترة إلى برية شيهيت وجبل نتريا، لكى يلتقى بالآباء الشيوخ المتوحدين .
نسناك الطوباويين ، فينتفع بكلماتهم من أجل حياته وخلاص نفسه . وكم كان يشعر أنه فى
اجة دائماً لهذا التواجد المستمر بين آباء البرية ، وأن يقضى وقتاً هادئاً يمتلىء فيه من
وحيات التى تسنده فى عمله الرعوى(١) .... فى إحدى المرات ذهب قداسته إلى نتريا .
قابل مع أب الجبل (غالباً القديس كرونيوس الذى خلف القديس بامو فى رئاسة نتريا بعد
حته عام ٣٧٣م) وسأله قائلاً : "ما هو أفضل شىء وجدته فى طريقة جهادكم هذه؟ فقال
"لايوجد شىء أفضل من أن أرجع بالملامة على نفسى فى كل أمر "فقال البابا: "بالحقيقة
ده فى الطريقة الفاضلة التى لا يوجد قط أفضل منها"(٢)

ومرة أخرى كان البابا فى الأسقيط فقال لنفسه : " أنى أريد أن أكمل فكرى مع الله" ..
خذ رغيفاً وصنعه خبزاً ، فأتاه مساكين يطلبون شيئاً فأعطاهم الخبز . ثم طلب منه أخرون
أعطاهم الزنابيل، وطلب منه غيرهم فأعطاهم الثوب الذى كان يلبسه ، ودخل القلاية ملفوفاً
وزة . ومع كل هذا كان يلوم نفسه قائلاً : "أنى ما أتممت وصية الله" (٣)

ومن المواقف الجميلة للبابا مع القديس الأنبا موسى الأسود. إنه عندما زار قداسته البرية.
ب إليه الآباء أن يعطى القديس الآنبا موسى نعمة الكهنوت .. وعندما ألبسه ملابس الخدمة
يضاء (التونية) قال له : " هوذا قد صرت كلك أبيضاً يا موسى" .. فرد عليه الأنبا موسى
إتضاع "عسى أن يهبنى الله أن أكون فى الباطن كما فى الخارج أيضاً" (٤)

وكان البابا ثيؤفيلس يتبادل الرسائل مع آباء البرية وأديرة الرهبان وخاصة أديرة القديس
يا باخوميوس أب الشركة . ونذكر منها الرسائل المتبادلة مع القديس أمون الطبانسى
ى ترهب فى أحد أديره الأنبا باخوميوس وهو صغير السن . ثم ذهب إلى نتريا وعاش
ك . ثم أصبح أسقفاً بيد البابا أثناسيوس الرسولى .. فقد كتب هذا القديس للبابا عدة
اسائل عن حياة الآباء المتوحدين ونساك البرارى وجهادهم النسكى منذ أيام أثناسيوس ،
ن البابا ثيؤفيلس كان يشعر بأهمية هذه السير المباركة طلب من القديس أمون أن يكتب
رة القديس تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس. (٦)

هكذا كنا نرى البابا كيرلس السادس يقضى أوقاتاً كثيرة فى دير مارمينا بمريوط. وأيضاً نجد البابا شنوده الثالث يقضى عدة أيام أسبوعياً فى المقر البابوى بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون. والمتنيح الأنبا بنيامين مطران المنوفية الأسبق وذهابه إلى دير البراموس كثيراً.

مطرانية بنى سويف وبهنسا الرهبان .

المرجع السابق .

اجع كتابنا : القديس الأنبا أرسانى.

٣ لقد حطموا سيرابيس

وضع الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير فى سياسته الدينية، إستراتيجية هامة جداً، القضاء على الوثنية نهائياً من الإمبراطورية إلى جانب تدعيم الإيمان المسيحى القائم على نيـ

وعرفنا كيف إتخذ ثيؤدوسيوس قراراً قوياً عقب مجمع القسطنطينية المسكونى عام ٨١ بإعتبار المسيحية هى الدين الرسمى للإمبراطورية. وكم كان هذا القرار بمثابة الضربة الـ والرسمية والقاضية على الوثنية. وتبع هذا القرار مجموعة من الإجراءات فى كل أ الإمبراطورية لتحقيق الهدف المنشود.

من ناحية أخرى، ساهم الإمبراطور الغربى جراتيان فى تحقيق أهداف ثيؤدوسيـ عندما رفض لقب الكاهن الأعظم. وهو اللقب الذى كان يتمتع به أباطرة الرومان على العصور. بل أن جراتيان أصدر أمراً بإزالة تمثال ومذبح ربة الإنتصار من قاعة الس (مجلس الشعب) والتى كانت قلعة وثنية. وكم من محاولات وثنية يائسة لإعادة هذا التمثال موقعه ولكن بدون جدوى.

فى نفس الوقت كان القديس أمبروسيوس أسقف ميلان (٣٣٩ - ٣٩٧)، يفند أس الوثنية، بإعتبارها طريق الهلاك، وكانت شعبيته إلى جانب إحترام الإمبراطور له سبـ إحباط كل محاولة لإعادة مذبح الإنتصار الوثنى.

وبعد مقتل الإمبراطور جراتيان وتعيين ڤالنتيان الثانى. واجه الإمبراطور ثيؤدوسيوس مـ السناتو فى مسألة التبعية للمسيح. وأمر بنفى الزعيم الوثنى سيماخوس الذى قاد كل المحـ الوثنية السابقة. فلم يجد أعضاء السناتو سوى التحول إلى جانب المسيحية رسمياً(١).

ومن ثم وبعد هذا الإنتصار السياسى، أصدر ثيؤدوسيوس قانوناً يمنع به الرعية فـ أنحاء الإمبراطورية من تقديم الإضاحات. بل وإغلاق المعابد الوثنية وتحطيم أوثانها ومـ أملاكها، على أن تؤول هذه إلى الكنائس والجيش... وعليه قام الأساقفة فى كل مكان بـ واسعة لتحطيم المعابد الوثنية، وبصفة خاصة فى غاله (فرنسا) وسوريا ومصر.

كان فى مدينة الإسكندرية معبد السيرابيوم الذى تفنن فى تشييده البطالمة والرومان سيرابيس. ويعتبر هذا المعبد من أكبر وأهم المعابد الوثنية فى مصر على الإطلاق.

وفى عام ٣٩١م أخذ البابا ثيؤفيلس موافقة الإمبراطور ثيؤدوسيوس على تحويل الوثنية إلى كنائس، وبمساعدة والى مصر البيزنطى.. فقام قداسته بهدم أطلال هيكل

باخوس (إله الخمر) وأقام بدلاً منه كنيسة على إسم الإمبراطور... ولكنه قام بعرض التماثيل الوثنية القبيحة أمام جميع الناس لإظهار مدى قُبح الوثنية... فأثار هذا العمل مشاعر الوثنيين وحفيظتهم. فقاموا بزعامة الفيلسوف الوثنى أوليمباس بالهجوم على المسيحيين، وقتل الكثيرين منهم. وثار شغباً فى مدينة الإسكندرية كلها. فتدخل الوالى أفاجريوس بجنوده لصالح البابا ثيؤفيلس والمسيحية بناء على أوامر الإمبراطور.

أما أوليمباس فقد حث جموع الوثنيين على حماية الإله سيرابيس، فإندفعت تلك الجموع المسلحة للدفاع عن معبد السيرابيوم والإله سيرابيس.. إلا أن المسيحيين زحفوا إلى هذا المعبد الوثنى بقيادة البابا ثيؤفيلس، وفرضوا حصاراً شديداً حوله..

...ولما صدرت الأوامر بهدم المعبد فوق رؤوس الوثنيين، ومع صياح المسيحيين، هم الوثنيون للهرب والنجاة... وعندما دخل المسيحيون المعبد، وجدوا هذا التمثال العجيب وهو يقف شامخاً يحمل الصولجان بيده اليسرى والمكيال على رأسه، أما يده اليمنى تمسك بالتنين الذى له جسد ورأس الثعبان وذيول ثلاثة تنتهى رؤوس أحدها لكلب والأخرى لأسد والثالثة لذئب. وكانت هناك أسطورة حوله تقول أنه عند تحطيم هذا التمثال سوف يسود العالم الخراب، وتهتز الأرض بالزلازل، ولن يفيض النيل بالماء(١)... ثم أعطى البابا أوامره لأحد الجنود لتحطيم هذا التمثال. فتقدم فى غيرة وحماس وأطاح برأس هذا الإله، وسط صراخ الوثنيين الذى أصابهم الهلع عندما رأوا كمية الفئران التى خرجت من التمثال. أما رأس التمثال فحملتها الجماهير وطافت بها المدينة ليشاهدها الناس الذى كانوا يسجدون له يوماً(٢)... وفى نفس الوقت أشعل الوثنيون النيران فى المعبد. ولكن تم إنقاذ المعبد من الحريق حرصاً على المكتبة الثمينة التى كان يحتويها... وللأسف الشديد أُتهم البابا ثيؤفيلس بأنه قام بحرق المكتبة إلا أن هناك العديد من المؤرخين القدماء والمحدثين يؤكدون براءة هذا البابا العظيم من تلك التهمة، لأن غيرته دفعته فقط إلى تحويل المعابد إلى كنائس(٣)...

وبعد هذه الأحداث أصدر الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير مرسوماً عاماً سنة ٣٩٢م يقضى بتدمير أشهر المعابد فى كل ولايات الإمبراطورية. كما فرض الغرامات المالية الباهظة على كل من يحاول التردد على المعابد التى أغلقت. إلى جانب مصادرة الأملاك الخاصة بالوثنيين الذين يمارسون طقوسهم. مع إعتبار هذه الديانة هى خزعبلات وثنية. وجاء أيضاً فى هذا المرسوم أن من يخالف هذه الأوامر الإمبراطورية، يعرض نفسه لتهمة الخيانة العظمى ضد الدولة.. وقد دعى أحد المؤرخين هذا المرسوم الأخير بـ "أنشودة الأحزان الوثنية".. وهكذا تم القضاء على الوثنية فى الإمبراطورية بفضل هذا الإمبراطور العظيم.

(١) المرجع السابق.

(٢) أدوارد جيبون: إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الثانى، ترجمة

ثيؤدوسيوس إمبراطوراً منفرداً

كان الإمبراطور ثيؤدوسيوس قد حقق إنتصاراً حقاً على ماكسيموس قاتل الإمبراط
جراتيان، وأسترد سيادته على غالة، وقام بتعيين القائد الجرمانى أربوجاست قائداً للجي
الإمبراطورى فى الغرب. أما الإمبراطور ڤالنتيان الثانى فكان مقيماً أغلب وقته فى ميلان،

وفى عام ٣٩١م عاد الإمبراطور ثيؤدوسيوس إلى القسطنطينية، وفى نفس الوقت غ
ڤالنتيان ميلان ليعود إلى غالة. ولكن حدث أن الولاء والسلطة كانت فى يد أربوجاست، ل
أصبح ڤالنتيان سجيناً فى قصره لا حول له ولا قوة، حتى أعلن فى عام ٣٩٢م نبأ إغتياله.

ولم يكن من السهل على الرومان قبول إمبراطوراً جرمانياً، لذلك كان من الصعب
أربوجاست أن يعلن نفسه إمبراطوراً خلفاً لڤالنتيان. فقام بإختيار فيلسوفاً يدعى يوجنيو
ليكون إمبراطوراً للغرب، الذى أعلن بدوره الإعتراف بثيؤدوسيوس وولديه أركاديو
وهانوريوس. أباطرة شركاء، وأرسل لهم مراسلات بهذا الخصوص.

أما الإمبراطور ثيؤدوسيوس فلم يقبل هذا الأمر، فأعلن فى يناير عام ٣٩٣م إبنه الش
هونوريوس أغسطساً، وأعد قواته لمواجهة مغتصبى العرش فى الغرب. كما أعلن كثيرون
القوط تطوعهم للخدمة فى جيش الإمبراطور. بينما إعتمد أربوجاست ويوجنيوس على أع
كثيرة من عناصر الفرنجة والألمانى.

وبالقرب من أكويليا (شمال إيطاليا) دارت رحى المعركة الفاصلة. وبالرغم من خس
ثيؤدوسيوس الجولة الأولى، إلا أنه تمكن من إستعادة الموقف. ومع إنضمام بعض الق
الغربية له بعد أن تركت أربوجاست وقواته. كما ساعدته الظروف الطبيعية. فحقق إنتص
ساحقاً، قتل على أثرها يوجنيوس بيد قواته، بينما إنتحر أربوجاست بعد أن تمكن من الف

وهكذا فى سبتمبر من عام ٣٩٤م، أصبح الإمبراطور ثيؤدوسيوس الإمبراطور الأ
والمنفرد بحكم الإمبراطورية شرقاً وغرباً(١)... إلا أن بقاء الإمبراطور ثيؤدوسيوس منفرداً با
لم يدم سوى ٤ شهور و١١ يوماً، إذ توفى فى ١٧ يناير عام ٣٩٥م. وخلفه أبنيه أركاديوس
الشرق وهانوريوس لحكم الغرب. لتعود الإمبراطورية من جديد إلى حكم الإمبراطورين.

٤ مأساة نتريا

كان جبل نتريا البداية الأولى للحياة النسكية فى منطقة وادى النطرون، عندما جاء إليها القديس أمون الكبير متوحداً ثم مؤسساً لجماعته الرهبانية.. وقد عاش فى نتريا شخصيات لها صيت ذائع فى العالم النسكى الرهبانى.. وعرفنا أن القديس أنطونيوس الكبير قد زار نتريا، وإختار منطقة القلالى المتاخمة لنتريا نحو الداخل لتكون سكنى للآباء المتوحدين.. وظلت نتريا سراجاً للحياة النسكية والحياة التقوية، حتى إنطفأ هذا السراج وبدأ أفول نجمها مع القرن السادس.

وقد شهدت نتريا أحداثاً مؤسفة، أثرت على الحياة الرهبانية، فكانت هى بداية النهاية.. حيث قامت مشكلة الأخوة الطوال والصراع مع الأوريجانية، ولاشك أن ما حدث فى جبل نتريا من أحداث شارك فيها قداسة البابا ثيؤفيلس، لايمكن أن تكون إلا مأساة مروعة سقط فيها الكل وشوهت صفحة هامة من كتاب تاريخ الرهبنة وحياتها المقدسة.

أما موقف البابا ثيؤفيلس ودوره فى هذه الأحداث المأساوية، فلسنا بصدد تقويمه أو الحكم على قداسته. وإن كنا لا نستطيع أن نعفيه من المسئولية تجاه تطورات الأحداث، حيث أن الظروف السياسية والكنيسة التى أحاطت به، ساعدت بشكل مباشر فى تحديد الأسلوب الذى عالج به هذه المشكلة..

وقبل أن نسرد هذه المشكلة وتطوراتها، والمأساة التى وقعت فى نتريا، يجب أن نذكر ثلاثة إعتبارات هامة:

أولاً: أن كتابات وأفكار العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤) كانت مثار جدل ونقاش فى الكنيسة شرقاً وغرباً، بين مؤيد ومعارض وعلى الرغم من أخطاء أوريجانوس المعروفة، إلا أننا لا يمكن أن ننكر سيرته المباركة النقية. وأنه أثرى الكنيسة بجهده العلمى وكتاباته وخاصة فيما يتعلق بالتفسير الرمزى للكتاب المقدس.

ثانياً: أن الحياة الرهبانية الروحية البسيطة فى البرية، قد تأثرت كثيراً بالرهبان الأجانب، خاصة الذين يأخذون بالفكر الفلسفى وحياة التأمل العقلى، وربط المفاهيم الكتابية والآبائية بها. ونذكر على سبيل المثال إيفاجروس البنطى (مار أوغريس) الذى كان من أشد المعجبين بأوريجانوس.

ثالثاً: أن قداسة البابا ثيؤفيلس عندما واجه الرهبان مع الأوريجانية. وإنما كان يواجه عالماً يتنافى مع تعاليم الكنيسة التى كان يدافع عنها، ورغم الشدة التى استخدمها وأخذت

عليه. والعداوة مع القديس يوحنا ذهبى الفم، بسبب هذه القضية وحُسبت عليه.. إلا أنه كا
يحفظ فى أعماقه من الداخل، صدقاً فى الحفاظ على الإيمان الكنسى كبطريرك لكرس
الإسكندرية الرائد فى حماية الإيمان على مستوى المسكونة كلها.

البداية

أربعة أخوة عاشوا فى نتريا هم: أمونيوس – ديوسقوروس – يوسابيوس – أفثيميو
وقد دعوا بالأخوة الطوال نظراً لطول قامتهم وقد إتسموا بالروحانية والفضيلة والن
الشديد.. وكانوا من المعجبين بكتابات وتعاليم أوريجانوس... ويذكر لهم محاربتهم للأريوس
والدفاع عن الإيمان وخاصة بعد نياحة البابا أثناسيوس الرسولى.

وكان الأخوة الطوال على علاقة طيبة بالآباء البطاركة، البابا بطرس الثانى، وال
تيموثاؤس الأول، والبابا ثيؤفيلس الذى أختار ديوسقوروس وأقامه أسقفاً على هرموبول
(دمنهور حالياً). كما أراد قداسته أن يقيم أحدهم أسقفاً أيضاً، ولكنه رفض لعدم إستحـ
هذه الكرامة. بينما قام البابا بسيامة أثنين منهم كاهنين فى الإسكندرية لمساعدته فى الخد
إلا أنهم أثروا العودة إلى حياتهم النسكية فى نتريا... ويذكر أن أمونيوس سبق أن رش
البابا ثيموثاؤس الأول أسقفاً، فقام بقطع أذنه اليسرى للهروب من هذه السيامة. ولما و
تمسك البابا وإصراره هدد بقطع لسانه، فتركه. وهو الذى يعرف بأمونيوس ذو الأ
الواحدة.

ألتف مجموعة من رهبان نتريا حول الأخوة الطوال فى إرتباطهم الشديد بكتابات العل
أوريجانوس وتفسيره الرمزى. فى حين كان هناك الرهبان البسطاء الرافضون لهذا التفس
ويأخذون بتفسير العهد القديم تفسيراً حرفياً..

وقد تصور الرهبان البسطاء أن الله له وجهاً وعينان ويدان ورجلان(١)... وحدث نزاع
الفريقين بسبب هذا الأمر وتصاعد حدته.

رسالة البابا الفصيحة

فى عيد القيامة المجيد عام ٣٩٩م جاءت رسالة البابا ثيؤفيلس الفصيحة إلى الكني
تعبر عن فكر وتعاليم الكنيسة تجاه الله. وتعرض قداسته لمشكلة تصوّر شكل الله الإنس

(١) هذا التصور عن الله فى العهد القديم أعتبر بدعة لأن الله روح. وقد تحدث بلغة البشر لكى يدركوا المفاهيم والمعانى المقـ

وأعتبر أن هذا لا يتفق مع الإيمان بأن الله روح، ولا يحق أن نفكر فيه بصورة مادية جسدية. وأعتبر هذه هرطقة أو بدعة يجب مناهضتها.

رفض رهبان نتريا خطاب البابا ثيؤفيلس ورفضوا قراءة الرسالة فى المجمع!!! فى حين قام القديس بفنوتيوس أب شيهيت بعقد مجمعاً من شيوخ البرية فى منطقة دير (البراموس) وبحثوا الموضوع وقرروا قبول الرسالة وقُرأت فى الكنيسة..

وللأسف الشديد ترك الرهبان المتمردون فى نتريا الهدوء والعبادة والصلاة. وقاموا بحركة عصيان ضد البابا ثيؤفيلس بقيادة الناسك سرابيون. وتوجهوا إلى الإسكندرية، حيث حاصروا المقر البابوى فى هياج شديد وتوعدوا البابا بالقتل إن لم يرجع عن أفكاره!!! أما البابا ثيؤفيلس وبكل حكمته وقوة شخصيته، تمكن أن يمتص هذا الغضب القادم من البرية. وأن يهدأ من روعهم وخاصة عندما قال لهم: «إذ أراكم أنظر وجه الله»(١).. ثم وعدهم بحرم كتب أوريجانوس وتعاليمه... وعليه عاد الرهبان أدراجهم إلى نتريا(٢).

نتريا تحترق

أراد البابا ثيؤفيلس أن يأخذ أموال بيت الضيافة بالإسكندرية لبناء الكنائس، ولكن إيسونورس رئيس البيت وصديق البابا والذى سبق أن رشحه لكرسى القسطنطينية قبل سيامة القديس يوحنا ذهبى الفم، رفض طلب قداسته، لأنه كان يعتبر أموال هذا البيت من حق الفقراء والمساكين والمحتاجين...

ولما إشتد الخلاف بينهما، ترك إيسونورس الإسكندرية وبيت الضيافة وإتجه إلى نتريا ليمكث بها فهو أحد نساكها... وهناك إرتبط بالأخوة الطوال الذين رفضوا تصرف البابا ثيؤفيلس بحرم كتابات العلامة أوريجانوس، وإتهموه بالخضوع للرهبان أصحاب بدعة تصوّر شكل الله. كما أنهم رفضوا رسالة البابا الفصحية عام ٤٠٠م والتى هاجم فيها الأوريجانية. بل قاموا بتصعيد المواجهة مع قداسة البابا، حيث أحدثوا إنقساماً وإنشقاقاً فى البرية. كما اعتصموا مع مؤيديهم من الرهبان فى الكنيسة، ومنعوا دخول أحد الآباء الأساقفة، وأيضاً أوقفوا الخدمة الكنسية والعبادة!!!

أما رد فعل البابا ثيؤفيلس فكان شديداً، حيث عقد مجمعاً فى الإسكندرية وحرم فيه الأخوة الطوال، وإتهم إيسونورس بالأوريجانية.. بل قام بزيارة إلى نتريا، وعقد مجمعاً آخر هناك لإقناع الرهبان بخطورة تعاليم أوريجانوس. إلا أن الرهبان الثائرين رفضوا مقابلته، وأغلقوا باب الكنيسة فى وجه قداسته!!! ولما وجد الأخوة الطوال أن الأزمة تفاقمت، هربوا مع

(١) كان البابا ثيؤفيلس محباً للرهبنة ولآباء البرية وكثيراً ما كان يأتى إلى البرية لكى ينال بركتهم وينتفع بكلامهم وتعاليمهم.

ثمانين راهباً آخرين من البرية والإختفاء خوفاً من ثورة الرهبان عليهم. الذين لما لم يجدو
قاموا بإحراق قلاليهم وأمتعتهم.. وهكذا إشتعلت النيران فى البرية وفقدت سلامها(١).

من فلسطين إلى القسطنطينية

وصل الرهبان الهاربون إلى فلسطين ليكونوا فى حماية يوحنا أسقف أورشليم، وأخ
المعجبين والمؤيدين لأوريجانوس. إلا أن البابا ثيؤفيلس كتب رسائل إلى ١٧ أسقفاً ف
فلسطين و١٥ أسقفاً فى قبرص، يوضح لهم حقيقة المشكلة مع الأخوة الطوال. ووجهة نظ
فى حرم كتابات أوريجانوس، كما إعتبر قبول هؤلاء المحرومين شركة مع الهراطقة، وطال
الأساقفة برفضهم ومنعهم وطردهم أينما وجدوا...

وقد إستجاب أساقفة فلسطين وقبرص لرسائل البابا.. وقد عبر القديس چيروم
سعادته بالموقف الإيجابى الذى إتخذه البابا ثيؤفيلس من أجل حفظ تعاليم الكنيسة والإيم
المستقيم من الأوريجانية. وذلك فى عدد من الرسائل إلى قداسته نذكر منها مثلاً:

«چيروم إلى البابا الطوباوى ثيؤفيلس

تسلمت عن قريب رسائل طوباويتك... وأنى أكتب إليك سطوراً قليلة لأهنئك على نجاحك
العالم كله يمجدك فى إنتصاراتك.. جموع من كل الأمم تتطلع متهللة إلى الصليب الذى رف
فى الإسكندرية عالياً، وإلى النصب التذكارية المشرقة فوق الهراطقة. لتحل البركات ع
شجاعاتك لتحل البركات على غيرتك...»(٢).

وفى رسالة أخرى كتب چيروم يقول للبابا ثيؤفيلس

«لقد أفرحتنى رسالتك إنها تظهر غيرتك على الإيمان ضد الهراطقة وأن صوت قداست
يدوى فى العالم. وفرح كل كنائس المسيح قد أبكم إيعازات الشيطان المسمومة»(٣).

أما القديس أبيفانيوس أسقف سلاميس بقبرص، وأحد المناهضين لأوريجانوس وتعاليم
فقد عقد مجمعاً بناء على طلب البابا ثيؤفيلس وأعلن حرم الأخوة الطوال والأوريجانية.
كتب إلى القديس يوحنا ذهبى الفم رسالة يمتدح فيها البابا ثيؤفيلس بقوله: «أنه الذى نك
لواء الأوريجانية من مذبح الإسكندرية».. بل قام أبيفانيوس بالسفر إلى القسطنطينية
ناهز الخامسة والثمانين من عمره. لكى يفند الأفكار الأوريجانية ويواجه رهبان نت
المقاومون للبابا الإسكندرى(٤).

(١) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية.

وإذ وجد الرهبان الهاربون هذا الحصار من قبل البابا ثيؤفيلس، إتجهوا صوب القسطنطينية، لعرض قضيتهم على القديس يوحنا ذهبى الفم وطلبوا منه التدخل لعقد مصالحة مع قداسة البابا.

المواجهة مع ذهبى الفم

بكل الوداعة والمحبة والبساطة إستمع القديس يوحنا ذهبى الفم لمشكلة الأخوة الطوال مع البابا ثيؤفيلس. ووعدهم بالإتصال به ومصالحتهم معه. ثم عمل على راحتهم، وقبولهم فى شركة الصلاة بالكنيسة دون الأسرار المقدسة.

وكتب ذهبى الفم للبابا، طالباً الصفح عن رهبانه، كما دافع فى نفس الوقت عن أوريجانوس... ولكن البابا ثيؤفيلس غضب جداً لهذه الرسالة، وأعتبر يوحنا متدخلاً فى شئون كنيسة الإسكندرية الداخلية.. فكتب رسالة شديدة اللهجة إلى ذهبى الفم، يتهمه فيها أنه يقوم بتحريض الرهبان عليه. كما يطالبه بالإلتزام بقوانين مجمع نيقية التى تمنع الأساقفة التدخل فى شئون خارج إيبارشيتهم.

وازاء تعقد الموقف عرض القديس يوحنا المشكلة على الإمبراطور أركاديوس.. وفى نفس الوقت تمكن الأخوة الطوال من كسب ود الإمبراطور وزوجته لحل قضيتهم...

أصدر أركاديوس أمراً بعقد مجمعاً كنسياً فى القسطنطينية لمحاكمة البابا ثيؤفيلس ويكون برئاسة ذهبى الفم... وأرسل الإمبراطور للبابا ثيؤفيلس يستدعيه للحضور. وقد أثر هذا الأمر فى نفسية البابا تجاه ذهبى الفم وساعد على توسيع هوة الخلاف والعداوة بينهما!!!.. كما جاء القديس أبيفانيوس إلى القسطنطينية لمساندة البابا ثيؤفيلس ومواجهة ذهبى الفم، معاً.

إلا أن الأحداث فى القسطنطينية تبدلت سريعاً وتغيرت، حيث دخل القديس يوحنا ذهبى الفم فى صراعه مع الإمبراطورة أفدوكسيا وتحول المجمع برئاسة البابا ثيؤفيلس لمحاكمة ذهبى الفم.

أما الأخوة الطوال، فقد تنيح منهم الأسقف ديوسقوروس قبل إنعقاد مجمع السنديان عام ٤٠٠م.. كما تنيح فى نفس العام إيسونورس رئيس بيت الضيافة. أما أمونيوس ذى الأذن الواحدة وقائد حركة العصيان فقد تنيح بعد إيسونورس بقليل، وبكاه البابا ثيؤفيلس بشدة.. بينما تصالح بقية الرهبان مع قداسة البابا، وعادوا إلى البرية بعد أن قطعوا عهداً على أنفسهم بعدم إثارة أية مشاكل..

وهكذا إنتهت مشكلة الأخوة الطوال، التى فقدت فيها نتريا الكثير، ولكن فى الحقيقة يع
البابا ثيؤفيلس هو الخاسر الأول فى هذه المشكلة بسبب موقفه من القديس يوحنا ذهبى ال
وعداوته له. هذا الموقف الذى سجله المؤرخون عليه وخاصة المؤرخ بلاديوس صديق ذهبى ال
وكاتب سيرته(١).

مجمع السنديان

فى سبتمبر عام ٤٠٣م عُقد فى قرية السنديان (البلوطة حالياً) بالقرب من م
القسطنطينية مجمعاً لجميع المعارضين للقديس يوحنا ذهبى الفم. وذلك بأمر من الإمبرا
أركاديوس وزوجته أفدوكسيا. ورأس هذا المجمع البابا ثيؤفيلس، وكم كانت محاكمة ذهبى
فى هذا المجمع مهزلة تاريخية يندى لها الجبين. حيث وجهت إليه ٢٩ إتهاماً ثم إرتفعت إلى
إتهاماً. وكلها إتهامات باطلة، وملفقة ضده. ومَن يقرأ هذه الإتهامات يشعر بالخجل والس
من هذا المجمع العجيب فمنها:

- أن القديس يوحنا سام أربعة أساقفة مرة واحدة (هل هذا معقول؟!!).
- أنه كان يأكل بمفرده ويحيا حياة الترف (هذا الناسك!!!).
- أنه باع رخام كنيسة القديسة أناسطاسية (إتهام خطير!!!).
- أنه يأخذ حماماً كل يوم (معقول!!!).
- أنه لا يرتب ثيابه الخاصة بالخدمة بعد إنتهاء القداس الإلهى(!!!).
- أنه يأخذ بالفكر الأوريجانى(!!!).

وقد أرسل المتآمرون فى هذا المجمع إلى القديس يوحنا لكى يمثل أمامهم، للدفاع
نفسه إزاء هذه الإتهامات الخطيرة .. ولكنه لم يذهب، ورفض الحضور، لأن هذا المجمع
القانونى، مستناً إلى رسالة البابا ثيؤفيلس - رئيس هذا المجمع - التى سبق وأرسلها
بخصوص مشكلة الأخوة الطوال يعلمه فيها أنه لا يجوز أن يتدخل فى شئون إيبارشية أ
غير إيبارشيته .

وعليه أصدر هذا المجمع قراره بحرم القديس يوحنا ذهبى الفم، وعزله عن كرسيه ،
خارج العاصمة. وإعتمد الإمبراطور أركاديوس هذا القرار الآثم.(٢) وقد تنيح القديس
منفاه عام ٤٠٧ م.

٥ غـــزو شيهيـت

فى عام ٣٩٠م فقدت برية شيهيت مؤسسها العظيم القديس أنبا مقاريوس الكبير، بعد
حياة فاضلة بارة، ونسكية مقدسة إمتدت لأكثر من ستين عاماً منها خمسون عاماً فى
شيهيت.. شاهد فيها التجمعات الرهبانية الأربعة، وعاين الأسقيط وهو يمتلئ بآلاف النساك
والمتوحدين.

ويذكر أن القديس مقاريوس الكبير قد تنبأ قبل نياحته بالخراب الذى سيحدث فى شيهيت
زماناً يسيراً، ثم تعود ثانية لتشهد لرب المجد يسوع. فقال: «إن الطغمات الأولى التى تسكن
فى هذا الجبل تكون قوية بالله فى الأعمال الصالحة، وتكون مثل سباع الجبال، وترتفع
صلواتهم وطلباتهم وطيب دموعهم ومسكنتهم وأصوامهم الدائمة إلى عرش الثالوث المقدس
ويقيمون هكذا أزمنة كثيرة... وبعد هذا يطلق الله (أى يسمح الله) أن تخرب الديارات الأربعة
وتصير هذه البرية مقفرة لا إنسان فيها أربعين سنة.. وبعد ذلك يذكر سيدنا يسوع المسيح
فى الرحوم أعمالهم وتدبيرهم وفضائلهم، ولا يشاء أن ينسى أعمال عبيده، فيستدعى من
بقى من الرهبان ويوعز إليهم الملك المسيح قائلاً: أرجعوا إلى بلد آبائكم وأنا أشرع لكم
ناموساً ورسوماً وحدوداً لتكملوها.. وإذا ما عملتم جميع ما أُمرتم به تؤهلون للنياح الذى ناله
آباؤكم..»(١) معاً

وقال أيضاً: «عندما ترون القلالى تُبنى بالقرب من المستنقع، إعلموا أن الخراب قريب. وعندما
ترون الأشجار فإعلموا أنه على الأبواب. ولكن عندما ترون الأطفال فخذوا ملوطكم(٢) الجلد
وإرحلوا(٣)».

وقد تحققت نبوءة القديس مقاريوس الكبير بعد نياحته بسبعة عشر عاماً، عندما قام البربر
بغزو برية شيهيت خلال النصف الأول من القرن الخامس ثلاث مرات أعوام ٤٠٧م
و٤٣٤م و٤٤٤م.

والبربر كانوا ينتشرون فى شمال أفريقيا خاصة فى بلاد المغرب، وموريتانيا، وجهات
متفرقة من الصحراء الكبرى، وذلك فى العصور القديمة التى لا تقل عن ثلاثين قرناً قبل
الميلاد.. وهم شعب خليط من عناصر حميرية ومضرية وقبط وعماليق وكنعانية وقرشية(٤). وقد

١) دير السريان: الثالثة مقارات القديسين.
٢) الملوطة هى جلد الغنم المدبغ الذى كان يلبسه الرهبان على ظهورهم.

أطلق عليهم الرومان هذه التسمية (البربر) لأنهم شعب ذات طابع بدوى يفتقر إلى تن
مركزى موحد. إلى جانب كونهم متباعدين عن أنماط الحضارة الرومانية التى قاوموها بش
الوسائل..

وللبربر خصائصهم الجنسية فى الطول وصبغة الشعر ولون العين وشكل الجمجمة. كما
لهم عادات خاصة بهم، ولغة متميزة بذاتها. كما يتبعون التنظيم القبلى كنمط لحيا
الإجتماعية(١).

كما ينقسم البربر إلى مجموعتين كبيرتين: الأولى البرانس والثانية البتر، وذلك نسبة
زى كل منهما. ويعتقدون فى الماجوسية والسحر ويؤمنون بالقوى الطبيعية كالشمس والق
كما عبدوا الأصنام(٢).

ويذكر أن كتابات الآباء كانت تذكر البربر بأسم "المازليك" وهم من الشعوب الق
التى كانت تقطن بالقرب من الحدود المصرية الليبية، وبجوار الواحات الخار
والداخلة(٣)...

الغارة الأولى للبربر

بعد نياحة القديس مقاريوس الكبير عام ٣٩٠م، أصبح القديس بفنوتيوس أباً لشيه
ومسئولاً عن التدبير النسكى فى المواضع الرهبانية الأربعة(٤)... وعندما زار الق
يوحنا كاسيان شيهيت عام ٣٩٩م، إلتقى مع الأب بفنوتيوس وكان له من العمر ٩٠ ع
وسجل معه حديثاً روحياً ونسكياً عن مراحل الزهد، وعمل النعمة الإلهية فى الح
الروحى(٥).

ثم نسمع بعد ذلك عن ترك القديس بفنوتيوس لشيهيت وذهابه إلى دير الشم
حيث تنيح هناك. وقد خلفه فى رئاسة شيهيت القديس يوحنا القصير الذى لُقب بق
شيهيت.

ويذكر أن القديس الأنبا موسى الأسود كان يقول للرهبان دائماً: «إذا حفظنا على و

(١) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر: الموسوعة العربية الميسرة. إشراف د. محمد شفيق غربال.
(٢) المعلم بطرس البستانى: دائرة المعارف. الجزء الخامس. ١٨٨١ بيروت.
(٣) د. منير شكرى: أديرة وادى النطرون.
(٤) راجع كتابنا: القديس بفنوتيوس أب شيهيت العظيم.
(٥) القمص تادرس يعقوب: مناظرات يوحنا كاسيان ١٩٦٨.

أبائنا، فإننى أؤكد لكم بأسم الرب أن البربر لن يأتوا إلى هنا. ولكن إذا لم نحافظ عليها، فإن هذا المكان سيصير خراباً(١).

وفى عام ٤٠٧م قام البربر بالهجوم على شيهيت من جهة الغرب، حيث خربوا ونهبوا الكنائس والقلالى فى المناطق الأربع، وقتلوا عدداً كبيراً من الرهبان النساك. وكان فى مقدمتهم القديس الأنبا موسى الأسود. الذى كان يجلس وسط سبعة من الأخوة فقال لهم: «يا أولادى سيأتى البربر إلى بريتنا، فهيا أهربوا لتنجوا بأنفسكم».. فقال له أحدهم: «وأنت يا أبانا ألا تهرب معنا».. فقال القديس موسى: «يا أحبائى منذ سنوات طويلة وأنا أنتظر هذا اليوم، لكى يتم فىّ قول السيد المسيح له المجد: «كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦:٥٢). فقال له الأخوة: «ونحن لن نهرب وسنموت معك».. ولم يمض وقتاً على هذا الحوار حتى جاء البربر وقتلوا الرهبان ونهبوا المكان. وكان واحد من السبعة خائفاً فهرب واختبأ بين الحصير، فرأى سبعة تيجان نازلة من السماء توجت القديس الأنبا موسى والأخوة السبعة. فأسرع هذا الأخ وخرج من بين الحصير فقتله البربر ونال إكليل الشهادة كالباقين من الآباء(٢)...

وأزاء هذا الغزو البربرى على شيهيت، هرب كثيرون من آباء البرية إلى أماكن أخرى حيث كونت تجمعات رهبانية فى هذه المناطق فنجد القديس يوحنا القصير يذهب إلى القلزم (شمال السويس حالياً) وبالقرب من دير القديس الأنبا أنطونيوس الكبير. وتنيح هناك بعد عامين أى فى عام ٤٠٩م... وذهب القديس الأنبا بيشوى الرجل الكامل حبيب مخلصنا الصالح إلى منطقة أنتينوى - أنصنا - (الشيخ عبادة بملوى المنيا حالياً)، وهناك تصادق مع القديس الأنبا بولا الطموهى. وبقى هناك إلى يوم نياحته عام ٤١٧م... كما ذهب القديس بيمن أخوته إلى ترنوى (الطرانة بمركز كوم حمادة بالبحيرة حالياً)... أما القديس ثيؤذوروس فقد ذهب إلى البرما - الفرما - القريبة من منف - منفيس - (ميت رهينة ومدينة البدرشين الجيزة حالياً)... ونجد القديس سلوانس يذهب إلى أرض سيناء ويُقيم زماناً كثيراً حتى لُقب "سلوانس السينائى"... أما القديس أشعياء الأسقيطى فقد ذهب إلى سوريا ومكث هناك ٤٠ عاماً...

فى حين نجد القديس أرسانيوس معلم أولاء الملوك، لم يغادر شيهيت على أثر هذه الغارة، ن المغارة التى كان يسكنها كانت تبعد حوالى ٣٢ ميلاً عن كنيسة تجمع منطقة البراموس. ك لم يصل إليه البربر عند هجومهم..

د. منير شكرى: أديرة وادى النطرون.

غارتان جديدتان

بعد هدوء البرية.. عاد معظم الآباء النساك إلى شيهيت، ومارسوا من جديد حيا
النسكية، وإعادة بناء ما خربه البربر وقد بدأ صيتها ينتشر مرة أخرى.. وهناك قصة
زيارة القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين (٣٣٢-٤٥١) للأسقيط عام ٤٣١م، حيث ك
كبار النساك ونوى الشهرة يقصدون البرية لإستماع عظاته[١]...

ولكن البربر قاموا بالغارة الثانية لهم على شيهيت عام ٤٣٤م وخربوا كل شئ
طريقهم.. وفى هذه الغارة، ترك القديس أرسانيوس شيهيت وذهب إلى دير شهران بط
حيث مكث هناك مع تجمع رهبانه نحو عشر سنوات. ثم ذهب إلى كانوبى (بالقرب من أبو
بالإسكندرية). وبعد ثلاث سنوات عاد إلى طره ثانية وبقى إلى يوم نياحته عام ٤٤٩م[٢].

ورغم عودة مجموعات من الرهبان إلى شيهيت من جديد بعد إنتهاء الغارة البربر
إلا أنه لم يمض على سكناهم عشر سنوات حتى جاء البربر من جديد فى عام ٤
ونهبوا وخربوا الأديرة والقلالى والمغائر. وقتلوا رهباناً كثيرين ونذكر منهم إستش
التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت، الذين وتوجد أجسادهم فى دير القد
أنبا مقار[٣].

ومما هو جدير بالذكر أن الآباء الرهبان فكروا فى بناء الحصون بالأديرة ليحتموا
عند هجوم البربر. وقد أخذت ظاهرة بناء الحصون تنتشر فى كل ديارات مصر و
للإمبراطورين زينون (٤٧٤ - ٤٩١) وجوستنيان (٥١٨ - ٥٢٧) الفضل الكبير فى
وتشييد هذه الحصون والأبراج والأسوار فى أديرة مصر.

نياحة البابا ثيؤفيلس

عكف قداسة البابا ثيؤفيلس فى سنواته الأخيرة على وضع القوانين الكنسية لخ
الكهنوت.. كما إهتم بوضع كتاباً عن العلامة أوريجانوس، فند فيه كتاباته وتعاليمه من النا
اللاهوتية. كذلك وضع حساباً ثابتاً لتحديد موعد عيد القيامة المجيد بقاعدة تقول
إذا كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى يوافق يوم الأحد، فعيد الفصح يت
بأسبوع[٤].

(١) د. منير شكرى: أديرة وادى النطرون.

وتوالت السنوات، وأصاب البابا ثيؤفيلس الهزل والضعف الجسدى، ولكن روحه كانت بارة ونقية أمام الله. وكثيراً ما كان يقول فى أيامه الأخيرة: «طوباك يا أرسانيوس (معلم أولاد الملوك) لأنك وضعت هذه الساعة نصب عينيك دائماً».

وفى اليوم الخامس من شهر أكتوبر عام ٤١٢م (١٨ بابه) رقد قداسة البابا ثيؤفيلس فى الرب، بعد أن جلس على كرسى القديس مار مرقس الرسولى ٢٧ عاماً و٦٠ يوماً.. ودفن بجوار أسلافه البطاركة القديسين بالكنيسة المرقسية بالإسكندرية.

ويذكر أن البابا ثيؤفيلس - رغم إختلاف الكثيرين من المؤرخين حوله بين مؤيد ومعارض - هو أحد معلمى الكنيسة الكبار، وإليه يُنسب إطلاق أسم الكنيسة القبطية على كنيسة الإسكندرية مما أعطاها البُعد الوطنى والقومى، وهذا ما سيظهر فى تاريخ كنيستنا عبر العصور التالية...

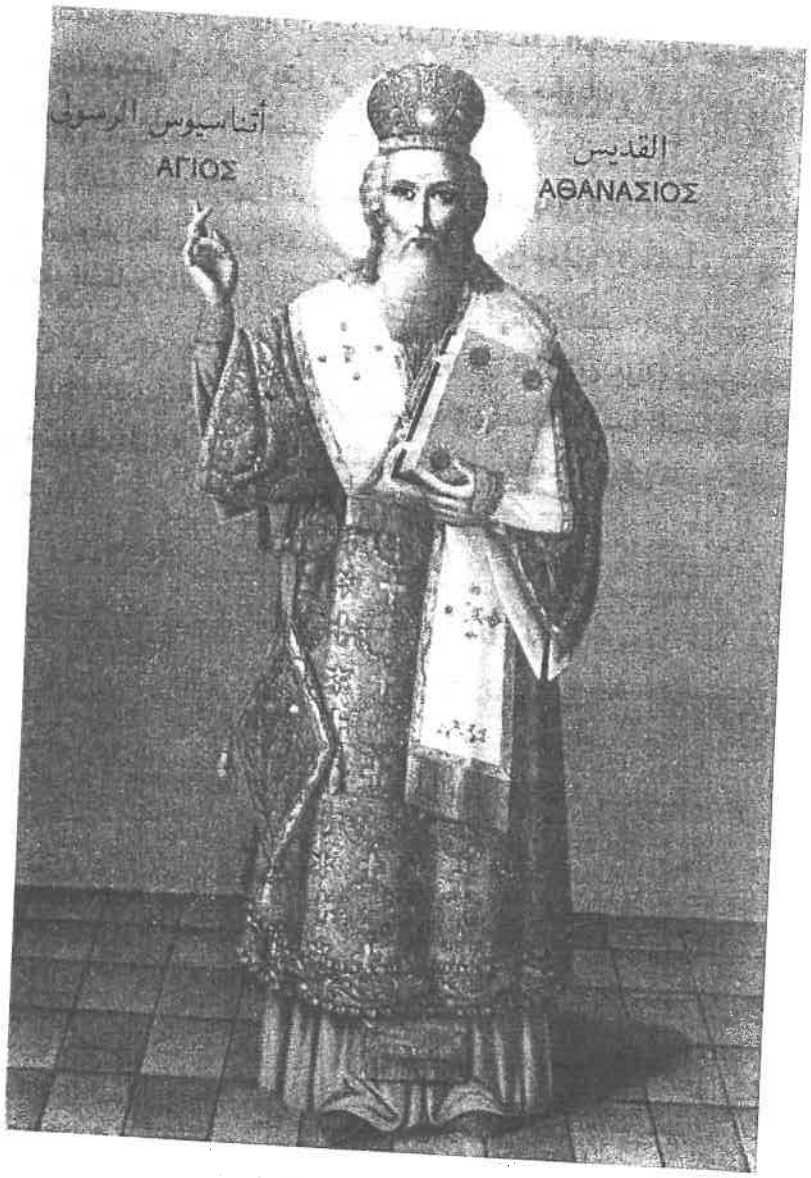

القديس العظيم

البابا أثناسيوس الرسولى

الباب الثالث

عصر القديس

البابا كيرلس الكبير

١ التكوين المقدس

عرفنا كيف إعتنى القديس البابا أثناسيوس الرسولى بالطفل ثيؤفيلس وأخته الصغ
بعد أن نالا سر المعمودية المقدس بيد قداسته، وإستنارا بالنعمة الإلهية(١).

وقد أودع قداسة البابا الفتاة الصغيرة فى دير للعذارى من أجل الإهتمام بها ورعاي
ومكثت هناك إلى أن تزوجت من رجل بار وطوباوى من أهل بلدة ديدوسيا أو دقلا بالقبـ
وهي محلة البرج. إحدى قرى مدينة المحلة الكبرى بالغربية(٢).

عاشت الزوجة الفاضلة مع زوجها بكل ما لديها من الإمكانيات الروحية والشخصية
تؤهلها لتكوين الأسرة المسيحية المباركة، أيقونة الله، والتى تشهد له بأعمالها وحياتها.

وفى نحو عام ٣٦٦م أعطى الرب لهذين الزوجين الفاضلين طفلاً جميلاً، سمياه «كير
أى عبدالرب. فكان مركز إهتمامهما ورعايتهما. وحرص الأبوان على تربيته التربية الر
والحياة الكنسية المقدسة. إلى جانب تعليمه وتثقيفه... وقد ساهم القديس البابا ثيؤفيلـ
(٣٨٥ – ٤١٢) – وهو خال الطفل كيرلس فى ذات الوقت – فى تنشئته روحياً وه
وثقافياً.

وإذا كان لأسرته الدور الرئيسى فى تكوينه. فإن كيرلس كان يعيش أيضا فى ظل
الكنسى الروحانى واللاهوتى الذى فرضه القديس البابا أثناسيوس الرسولى بحياته وتـ
وفضائله وجهاده من أجل حفظ الإيمان وحمايته، رغم نياحته عام ٣٧٣م. فضلاً عـ
الأبوى تجاه أمه وخاله... وكذلك سيرة كل من البابا بطرس الثانى ٢١ والمتنيح عام
والبابا تيموثاوس الأول٢٢ والمتنيح عام ٣٨٥م.

وإلى جانب هذا المناخ نجدأيضا حياة الآباء القديسين وسيرهم التى يفوح عبير قـ
وفضائلها ونسكياتها وروحانياتها وعلمها وتعاليمها. من وسط برارى مصر أرض الق
مما ساهم فى تكوين الشاب كيرلس بكل المقاييس، فمنهم من عرفهم، ومن تقابل معهم

فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية

كان القديس البابا ثيؤفيلس ٢٣ قد جلس على كرسى القديس مارمرقس الرسول
٣٨٥م، بطريركاً للكنيسة الإسكندرية خلفاً للقديس البابا تيموثاوس الأول ٢٢ ..

وفى ضوء إهتمام البابا ثيؤفيلس برعيته وحفظ إيمان كنيسته الذى تسلمه من الآباء وخاصة القديس أثناسيوس الرسولى، وأيضاً فى ضوء إهتمام وعنايته بأبن أخته كيرلس، حيث كان قداسته يشعر دائما أن الله رزقه ولداً روحانيا ممتلئ بالنعمة والحكمة، وله السيرة الحسنة أمام الله والناس... وإذ لمس فيه رجاحة عقله وفكره الثاقب وذكاؤه الحاد وذاكرته القوية النشيطة، وحبه وشغفه الشديدان للعلم والقراءة والبحث... آثر أن يعمل على إذكاء كل هذه الإمكانيات لخدمة الكنيسة التى أؤتمن عليها من قبل الله(١).

فأرسل الشاب كيرلس إلى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وتحت إشراف مديرها القديس ديديموس الضرير، لكى يتتلمذ على علمائها وأساتذتها الكبار، ويتلقى العلوم الفلسفية واللاهوتية التى تؤهله لمواجهة الهراطقة والمبتدعين، والدفاع عن الإيمان المسيحى. كما تصقل موهبته فى الكتابة والبحث والدراسات اللاهوتية.. وكان قداسته يقول له دائماً: «يابنى إنك بهذه الدراسات ستبلغ أورشليم السمائية فى موضع سكنى القديسين...(٢) وبالفعل كان لهذه الدراسات أكبر الأثر فى تكوين شخصيته اللاهوتية والثقافية والعملية. إذ إنعكست على كتاباته وتعاليمه وخدمته فيما بعد.

فى برية شهيت

لم يكتف البابا ثيؤفيلس، بما تلقاه كيرلس من علوم وفلسفات ودراسات فى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، بل أراد أن يكتمل تكوينه بذهابه إلى أرض الفضائل والروحانية التى لا تنضب أبداً، إلى برية شهيت المقدسة، ميزان القلوب، إلى إسقيط مقاريوس الكبير الناسك العظيم الذى إنتقل إلى السماء تاركاً رعاية أولاده الرهبان فى ديره العامر لتلميذه القديس سيرابيون الكبير(٣).

وكما ذهب القديس أثناسيوس الرسولى إلى جبل القلزم حيث عاش هناك ذهاء ثلاث سنوات تلميذاً للقديس العظيم الأنبا أنطونيوس الكبير وأب جميع الرهبان. فتأثر به تأثيراً بالغاً وتعلم منه الكثير من أمور الحياة الروحية والنسكية، التى ساعدته فى نموه الروحى وجهاده الكنسى. وغدت حياة الأنبا أنطونيوس سنداً وعونا له، ونبراساً يضئ له الطريق(٤)...

---

(١) القس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية.

(٢) جدع باقى: القديس كيرلس عمود الدين.

(٣) كان القديس سيرابيون تلميذاً للقديس أنطونيوس الكبير، وبعد نياحته عام ٣٥٦م. ترك جبل القلزم وذهب إلى نتريا ثم شيهيت وصار رفيقاً للقديس مقاريوس الكبير وإلى يوم نياحته عام ٣٩٠م وهو كاتب سيرته المقدسة.. وهو غير سرابيون أسقف تمى الأمديد المشهور والذى تنيح عام ٣٧٠م.

هكذا ذهب كيرلس أيضاً إلى دير القديس مقاريوس(١) حيث عاش هناك زهاء خمس سنوات تلميذاً للقديس سيرابيون الحكيم، حيث أوصاه البابا ثيؤفيلس أن يهذبه بعلوم الكنيسة والكتب المقدسة.

وفى هدوء البرية وسكونها عكف كيرلس على دراسة الكتب الكنسية والكتاب المقدس الذى كان يقضى معظم الليالى واقفاً فى قراءة الاسفار المقدسة وحفظها. ويقال أنه كان يقرأ فى الليلة الواحدة الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل ورسائل بولس الرسول وكل رسائل الكاثوليكون(٢). حتى تعمق فى فهم الكتاب المقدس، وبرع فى شرحه وتفسيره من أذهل معلمه. ويذكر أن الرب قد أعطاه نعمة وفهم قلب، حتى إذا قرأ كتاباً دفعه واحدة يحفظه ظاهراً(٣).

وقيل أن كيرلس عندما كان يقف قدام معلمه القديس سيرابيون كل ليله ليقرأ، كان يمسك فى يده سيفا من حديد، فإذا نعس ينخسه به فيستيقظ ويواصل تعليمه له(٤).

وإلى جانب حفظه ودراسته للكتاب المقدس والكتب الكنسية الأخرى. قام أيضا بقراءة ودراسة جميع كتابات آباء الكنيسة الكبار مثل البابا أثناسيوس الرسولى والبابا ديونيسيوس وأكلمنضس الإسكندرى وديديموس الضرير وباسيليوس الكبير وغريغوريوس الناطق بالالهيات، ... وهذه الكتابات كانت تشمل الأمور اللاهوتية والدفاعات الكتابية عن الإيمان المسيحى، وخاصة فيما يتعلق بتجسد رب المجد يسوع ولاهوته وطبيعته. وأيضا التعاليم والرسائل والأمور الروحية والنسكية، والإختبارات الروحية السامية.

كما أتقن كيرلس الألحان الكنسية، والتسبحة، والتى كان ينشدها بصوته الملائكى، وعالم السمائيين عذوبة وروحانية عالية، فيشعر كل من يسمعه أنه منطلقاً فى آفاق السمائيات، وعالم السمائيين الممجد(٥).

ومما هو جدير بالذكر، أنه فى هذه الفترة وبالتحديد عام ٣٩٤م. وصل القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك إلى برية شهيت ليسكن فيها معتزلاً العالم من أجل خلاص نفسه(٦).

---

(١) هناك بعض المصادر التاريخية. تذكر أن القديس كيرلس قد عاش فى نتريا تلميذاً للقديس سيرابيون الكبير سراج جبل (راجع ايفيلين هوايت: تاريخ الرهبنة القبطية فى الصحراء الغربية. جـ١ ترجمة الراهب بولا البراموسى).

(٢) دير المحرق: البابا ثيؤفيلس.

(٣) رينيه باسيه: السنكسار القبطى.. ٣ أبيب – أعده للنشر القس صموائيل السريانى (المتنيح الأنبا صموائيل أسقف شبين القناطر).

(٤) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية.

القس كيرلس

وإذ بلغ كيرلس النمو الروحى، وإمتلئ من الفضائل الروحية المقدسة، وتمكن من شرح الكتاب المقدس، وإستوعب تعاليم الآباء... إستدعاه البابا ثيؤفيلس من دير القديس مقاريوس بشيهيت، وسامه شماساً وعينه واعظاً فى كنيسة الإسكندرية.

وبعد حين قام بسيامته كاهنا. لينال نعمة الكهنوت، ولمساعدته فى الخدمه الرعوية وكل شئون الكنيسة.

وقد أحبه الناس جميعاً، وأقبلوا على تعاليمه ووعظاته العميقة فكانوا يأتون إليه من كل مكان، ومن كافة البلاد والأقاليم المصرية لكى يستمعون اليه، ويتعلمون منه، لأنهم أعجبوا بفصاحته وبلاغته وعمق تعاليمه وروحانيته.. حتى أن كيرلس قد ملك على قلوبهم، وأثر فى نفوسهم.

وقد عاصر كيرلس كل الأحداث الكنسية فى عهد البابا ثيؤفيلس، بل كان قريباً من بعضها وشهد ولس ماترتب عليها.. وخاصة مجمع السنديان عام ٤٠٣م والذى حكم بنفى القديس يوحنا ذهبى الفم. ثم نياحته عام ٤٠٧م. وأيضا مشكلة الأخوة الطوال، وأحداث عام ٣٩٩م فى نتريا إلى جانب غزو البربر لبرية شهيت لأول مرة عام ٤٠٧م وأستشهاد القديس الأنبا موسى الأسود وأيضا الهجمات المتواصلة للشعوب الجرمانية وسقوط روما عام ٤١٠م والذى افزع العالم كله(١).

وهكذا نرى عمل الله وتدبيره من أجل كنيسته المقدسة فى تكوين شخصية القديس كيرلس، بداية من إهتمام البابا أثناسيوس الرسولى بوالدته وخاله البابا ثيؤفيلس، وإلى خدمته فى الإسكندرية، وصقله بالممارسة والخدمة العملية، مروراً بمدرسة الاسكندرية اللاهوتية والحياة فى برية شهيت.. هكذا عملت نعمة الله فى كيرلس، وأهلته ليكون بطريركاً للكنيسة، ومعلماً للمسكونة، وعموداً للدين.

٢ مُعلم المسكونة

في اليوم الخامس عشر من شهر اكتوبر عام ٤١٢م رقد القديس البابا ثيؤفيلس في الرب
وأستودع روحه الطاهرة في حضن الآب بعد أن أكمل سعيه بسلام.

وعندئذ إتجهت أنظار الشعب وآباء الكنيسة من الأساقفة والكهنة إلى القس كيرلس وإ
أخت البابا الراحل، لكى يكون بطريركاً عوضا عنه، وذلك لما لمسوا فيه من قداسة وطوبا
وتقوى، والتضلع فى علوم الكنيسة والأمور اللاهوتية... وقد طالبت فئة قليلة
يكون رئيس الشمامسة تيموثاؤس بطريركا. ولكن الكل أجمع بنفس واحدة ع
إختيار كيرلس.

وفى اليوم السابع عشر من أكتوبر، قام الآباء الأساقفة بوضع اليد على المختار من
كيرلس، ورفعوا الأناجيل الأربعة فوق رأسه قائلين: "شدد يارب هذا الرجل الذى إختر
لرياستنا"(١).. ثم أجلسوه على كرسى القديس مارمرقس الرسول ليكون بطريرك كنيس
الإسكندرية الرابع والعشرين. وكان له من العمر نحو ستة وأربعين عاما. وفرح كل الش
بالبابا كيرلس الأول، وأحبوه من كل قلوبهم، وسجدوا للرب يسوع شاكرين إفتقادهم سر
بهذا الأب والراعى الأمين.

وفى وقت جلوس البابا كيرلس الأول على كرسى القديس مارمرقس كان يجلس
كرسى روما البابا أنوسنت الأول (٤٠١ -٤١٧) وعلى كرسى أنطاكية البطريرك بوفير
(٤٠٤-٤١٤) وعلى كرسى القسطنطينية البطريرك أتيكوس (٤٠٦-٤٢٥)... وكان القد
العظيم الانبا شنوده رئيس المتوحدين له من العمر نحو ٧٩ عاماً. وكان ديره الأبيض
صعيد مصر منارة ومركزاً للثقافة القبطية والتعاليم الروحية والكنسية، فضلاً عن مس
النسك العالى والقداسة السامية للآباء الرهبان الذى وصل عددهم ٢٢٠٠ راهباً و
راهبة... ويرجع إزدهار الدير الابيض وتأثيرة فى الكنيسة عامة إلى:

١- قداسة الأنبا شنوده وتقواه وروحانياته الفائقة

٢- كان الأنبا شنوده خطيباً بارعاً وكاتباً بالغاً، فجذب اليه الناس للإستماع إلى
وخطبه حيث كان يفتح الدير للشعب مساء كل سبت ويوم الاحد لحضور القد
الالهى

٣- الإدارة الروحية الواعية مع الحزم الهادف، والتخطيط السليم، فضلاً عن القوانين واللوائح المنظمة للحياة داخل الدير وخارجة.

٤- مقاومة الوثنية والتقاليد الإجتماعية المختلفة، ومحاربة البدع والهرطقات(١)...

الراعى المعلم

بدأ البابا كيرلس الكبير خدمته الرعوية لشعبه منذ اليوم الأول لسيامته المباركة. حيث كان يشعر بمدى المسئولية الموضوعة على عاتقه فى حفظ الإيمان السليم، الذى تسلمه من الآباء، وتعلمه فى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية(٢).. كما كان يدرك دوره الرئيسى فى قيادة الفكر المسيحى والمعرفة اللاهوتية. خاصة أن هناك من الهرطقات والتعاليم الخاطئة، كانت منتشرة فى مدينة الإسكندرية. إلى جانب وجود اليهود والوثنيين الذين سببوا له العديد من المشاكل والمتاعب منذ بداية حبريته، ولكنه إستطاع بنعمة الله أن يقود الكنيسة بل والعالم أجمع فى طريق الإيمان القويم وحفظ التقليد الكنسى.

لقد بدأ يواجه الهرطقة وفند بدعهم بالأسانيد والحجج القوية معتمداً على تفسير وشرح الكتاب المقدس الذى برع فيه، وعلى كتابات وتعاليم آباء البيعة الكبار... ومن أمثلة ذلك:

١- هرطقة النوفاسيين

واجه البابا كيرلس هرطقة النوفاسيين والتى تنسب إلى نوفاسيانوس الهرطوقى والذى كان يرفض قبول توبة الذين أنكروا الإيمان بسبب الإضطهادات. كما رفض إعادة معمودية من تعمدوا بأيدى الهراطقة.. وقد إنتشرت هذه الهرطقة وصار لها أتباع كثيرون. بل وأقاموا لهم أسقفا يدعى «ثيوتمبوس»...

وقد شرح البابا كيرلس لهم هذه البدعة ومدى خطورتها فى فقدان الرجاء فى مراحم الله، وفند بالأسانيد الآبائية والتاريخية مفاسد هذه الهرطقة، كما جاء فى مقررات مجمع قرطاجنة عام ٢٥٧م برئاسة القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة (٢١٠ -٢٥٨) والذى ناقش معمودية الهراطقة بحضور ١١٨ أسقفاً. وإتخذوا قراراً يقول: معمودية الهراطقة غير صحيحة،

---

(١) راجع كتابنا: القديس العظيم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين. ١٩٨٦ .

(٢) كان البابا كيرلس الكبير يذكر دائماً فى أغلب كتاباته ورسائله أنه يتبع تعاليم الآباء ومتمسك بها. وكان يقتبس العديد منها وخاصة كتابات البابا أثناسيوس الرسولى.

وأن الراجعين إلى الكنيسة من المعمدين من الهراطقة يعمدون. وأما الذين سقطوا من الإيمان وكانوا معمدين قانونياً فلا يعاد عمادهم عند رجوعهم(١).إلى جانب إعتماد مجمع نيقية المسكونى الأول لهذا القرار ، فصار قانوناً فى الكنيسة. (٢)

إلا أن هؤلاء الخارجين عن الإيمان، رفضوا كل مشورة من قبل البابا كيرلس، الذى لم يتردد فى إستخدام سلطته الكنسية فى تجريد هذا الاسقف من رتبته الكهنوتية وحرمه مع أتباعه، بل قام قداسته بطردهم من الإسكندرية(٣).

٢- كتابات جوليان المرتد

كذلك واجه البابا كيرلس ما كتبه الإمبراطور جوليان المرتد (٣٦١ - ٣٦٣). والذى كان مسيحياً ثم إرتد إلى الوثنية، وناهض المسيحيين وآباء الكنيسة، وتوعدهم بالإضطهادات. وكان هذا الإمبراطور قد كتب عشرة مقالات تحت عنوان «ضد الجليلين»، يهاجم فيها السيد المسيح، ويطعن فى لاهوته وتعاليمه... وقد إنشغل شباب الإسكندرية بهذه الكتابات الإلحادية لأن الوثنيين كانوا يتباهون بها زاعمين أنها سوف تقوض أركان المسيحية.

حينئذ تصدى البابا كيرلس لهذه المقالات وفندها وكشف ما فيها من ضلال وإلحاد، بل طالب الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى فى رسالة بعث بها اليه. أن يجمع كتب هذا الإمبراطور المرتد الجاحد من أرجاء الإمبراطورية ويقوم بحرقها. وفى نفس الوقت قام بكتابة الميامر والمقالات التى تثبت المؤمنين وتدحض هذه التعاليم المنحرفة. وقد كلل له الرب هذا الكفاح بنجاح ساحق منقطع النظير(٤).

٣- النسطورية

ثم تأتى مواجهة البابا كيرلس الكبير لهراطقة لنسطور بطريرك القسطنطينية، والتى أخذت منه جهاداً كبيراً طوال سنوات حبريته وهذا ما سنعرضه بالتفصيل فى الفصول التالية.

كتابات البابا كيرلس

كرس القديس كيرلس الكبير كل حياته وسنى عمره فى التعليم والكتابات المتنوعه فى تفسير الكتاب المقدس، وفى شرح الإيمان المسيحى، وخاصة فيما يتعلق بسر التجسد الإلهى كما فند البدع والهرطقات الإيمانية، والتعاليم المنحرفة والخاطئة، وخاصة النسطورية...

(١) القمص صليب سوريال: مذكرات فى المجامع السابقة على نيقية.
(٢) راجع مجمع نيقية المسكونى الأول فى الباب الأول .
(٣) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية.
جورج باقى: القديس كيرلس عمود الدين.

لقد بذل البابا كيرلس الجهد الليل والنهار فى الكتابة، وغدا أبرع من كتب فى اللاهوتيات بكل دقه وعمق وفهم سليم بعد البابا أثناسيوس الرسولى ومازالت الكنائس كلها شرقا وغربا تعتمد على تعبيراته وصيغه الإيمانيه.

لقد كان القديس كيرلس ينبوعاً لاينضب من الفكر المسيحى اللاهوتى وكانت كتاباته ومؤلفاته مثل السيل الجارف. حتى أن كثيرين من إنشغلوا بتسجيل ورصد وكتابة مقالاته. ورسائله وأقواله. أطلقوا عليه الكثيرون العديد من الالقاب التى تصف قوة تعاليمه ورجاحة فكره وعمق لاهوتياته ومدى صدقها وسلامتها. إلى جانب أمانته ودقته فهو «معلم المسكونة» و «مصباح البيعة الأرثوذكسية» و«كيرلس الحكيم» و «كيرلس معلم الأقوال الإنجيلية» و «كيرلس الجزيل الحكمة» و «كيرلس الكبير» و «كيرلس المعلم» و «كيرلس عمود النار المنير» و «كيرلس العلامة العظيم» و «مصباح البيعة» و «كيرلس عمود الدين» وهو أشهر هذه الألقاب كلها.

وقد كتب القديس كيرلس باللغة اليونانية التى كان يتقنها تماماً وقد إهتم المؤرخون ومحققوا تعاليم الآباء بكتاباته ونشروا أغلبها. وخاصة ما جاء فى مجموعة مينى Minge.

ومن أشهر كتابات البابا كيرلس

١- العبادة بالروح والحق: ١٧ كتاباً تفسيرياً فى أسفار موسى النبى.

٢- الجلافير: اى التفاسير الأنيقة وهى ١٣ كتابا تفسيريا فى العهد القديم وخاصة سفر أشعياء النبى والمزامير من ١-١١٩.

٣- تفسير إنجيل لوقا: ١٥٦ عظه.

٤- تفسير إنجيل يوحنا: وهو أروع تفسير للبابا كيرلس.

٥- رسائل القديس كيرلس ضد النسطورية.

٦- مقال عن المسيح الواحد.

٧- مقال فى شرح تجسد الإبن الوحيد.

٨- الرسائل الفصيحة: ٢٩ رسالة ما بين سنتى ٤١٤ - ٤٤٢

٩- العظات والمياصر والتأملات...

١٠- ومن أثمن ماقدمه البابا كيرلس الكبير للكنيسة هو القداس الالهى الذى سبق ووضعه كاروز مصر العظيم مارمرقس الرسول باللغة اليونانية. ثم ترجمه قداسته إلى القبطية بعد تدوينه وترتيبه وإضافة بعض الصلوات ثم نشره وإستخدامه فى الصلاه. ولذلك ينسب هذا القداس إليه ويعرف ب «القداس الكيرلسى» وتصلى به الكنيسة إلى يومنا هذا، فهو القداس القبطى الأصيل الخاص بكنيسة الاسكندرية(١).

شهادة الحق

وتأتى قضية القديس يوحنا ذهبى الفم. التى شغلت الكنائس شرقاً وغرباً. وأراد البابا كيرلس الكبير أن يحسم هذه المسأله. خاصة أن قداسته أعلن أن المتنيح البابا ثيؤفيلس قد أبدى ندمه على حرم القديس يوحنا ذهبى الفم، رافضاً الذهاب إلى القسطنطينية مرة أخرى لحضور المجمع الذى أيد الحكم على خطيب الكنيسة(٢)...

كما أن البابا كيرلس ذكر رواية وقت نياحة البابا ثيؤفيلس، تؤكد الصفاء والسلام بين البابا ثيؤفيلس والقديس يوحنا ذهبى الفم. وقد ترجم هذه الرواية عن القبطية ونشرها القمص أنجيلوس المحرقى (المتنيح الأنبا مكسيموس مطران القليوبية) أمين المكتبه البطريركية وهذا نصها: (وبعد مرور ثلاث ساعات منذ أسلم الروح، وبينما هم يضعون التابوت فى هذا الوقت. أظهر وجهه وإبتسم إبتسامه روحية مملوءه من كل نعمه وقال: «أشكرك يارب يسوع المسيح لأنك اليوم أزحت عن القلب هذا الحزن العظيم». فتكلم معه عظماء الإكليروس قائلين: «ماذا حدث لك ياسيدنا الأب القديس؟» أجاب قائلاً: «هوذا القديس يوحنا ذهبى الفم والقديس أبيفانيوس أسقف قبرص، جاء إلىّ فى هذه الساعة، يمسك أحدهما يد الآخر وقبلانى بوجه مملوء فرحاً وقالا لى: سلام لك يا أبانا القديس ثاؤفيلس أترك هذا الجسد الضعيف، لتأتى الينا بسلام، لتفرح معنا بخيرات ملكوت السموات. ورجع الىّ القديس يوحنا وقال لى: يا أخى ثاؤفيلس ما هذا الحزن الموجود فى قلبك، لأنك كتبت فرزى؟ حى هو الرب يا أخى إنه لاعداوه فى قلبى بينى وبينك إن ماحدث كان بإرادة الرب والآن يا ثاؤفيلس لا تضع هذه الأمور فى قلبك، وتفكر أنه توجد عداوة بينى وبينك حاشا وكلا. وبعد أن قال هذا حيانى كلاهما ورحلا من عندى بسلام» وحدث بعد أن أتم أبى القديس ثاؤفيلس قوله أن أغلق عينيه وأسلم الروح وسط الإكليروس... أما أنا الحقير كيرلس إبنه، فامسكونى وأجلسونى على كرسى أبى قبل أن يدفنوه)(٣).

(١) الأب يعقوب مويزر: مقال فى كتاب كريليان.
(٢) راجع الباب الثانى من هذا الكتاب .

ويقال أيضا أن القديسة العذراء أم النور. قد ظهرت للبابا كيرلس الكبير، ودعته أن يذكر القديس يوحنا ذهبى الفم فى صلاة القداس كما ذكر أنه رأى حلماً فى ذات ليلة أن القديس يوحنا ذهبى الفم كان فى الكنيسة مع زمرة من الملائكة الذين هموا بإخراج البابا خارجاً.. إلا أن العذراء القديسة مريم جاءت وطلبت من القديس يوحنا ذهبى الفم من أجله ليبقى على كرسيه... وكان لهذه الرؤيا وهذا الحلم التأثير الروحى والنفسى عند البابا كيرلس(١).

ومن ثم عقد البابا كيرلس الكبير مجمعاً كنسياً نحو عام ٤١٧م حضره جميع أساقفة كرسى الإسكندرية. وبعد دراسة موضوع القديس يوحنا ذهبى الفم. أتخذ قراراً بإلغاء الحرم الذى صدر ضد القديس يوحنا. كما قام بإدراج إسمه ضمن الآباء الأطهار الذين تذكر أسماؤهم فى مجمع القداس الإلهى(٢)...

نياحة القديس الأنبا بيشوى

على أثر الهجوم الأول للبربر على برية شيهيت عام ٤٠٧م والتى إستشهد فيها القديس الأنبا موسى الأسود. طلب القديس الأنبا بيشوى من القديس الأنبا يحنس القصير أن يهربا من وجه البربر. فقال له الأنبا يحنس: «وهل تخاف الموت يارجل الله؟» . فقال الأنبا بيشوى: «كلا. ولكنى أخاف لئلا يقتلنى واحد من البربر، فيذهب إلى جهنم بسببى:» فأعجب الأنبا يحنس بهذه المحبة...

فمضى القديس يحنس القصير إلى جبل القلزم، حيث دير القديس الأنبا أنطونيوس الكبير، ومكث هناك إلى يوم نياحته فى عام ٤٠٩م... أما القديس الأنبا بيشوى فقد ذهب إلى جبل أنصنا (حاليا قرية الشيخ عبادة بملوى). وهناك إلتقى بصديقه الروحى القديس الأنبا بولا الطموهى... وتوثقت العلاقة بينهما حتى أنهما طلبا من الله ألا يفترقا بعد نياحتهما. فكان لهما ما أراد...

وفى اليوم الثامن من شهر أبيب المبارك (١٥ يوليو) من عام ٤١٧م تنيح القديس الأنبا بيشوى الرجل الكامل فى شيخوخة صالحة عن عمر يناهز ٩٧ عاماً. ودفن فى حصن مينة السفار بالقرب من أنصنا. وبعد ثلاث شهور تنيح الأنبا بولا الطموهى، ودفن معه... وفى أيام حبرية البابا يوساب الأول ٥٢ (٨٣٠ -٨٤٩) ثم نقل جسدى القديسين إلى دير القديس الأنبا بيشوى بشيهيت بوادى النطرون، ووضع الجسدين معاً فى صندوق واحد(٣) وقد إقيمت لهما مقصورة جميلة، تعلوها صورة للقديس الأنبا بيشوى.

(١) الأرشمندريت حانيا كساب: مروج الأخبار فى تراجم الأبرار.
القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية.
(٢) إيريس المصرى: قصة الكنيسة القبطية ج ٢.

٣ الكنيسة والحكم البيزنطى

كان يجلس على عرش الإمبراطورية البيزنطية عند سيامة البابا كيرلس الكبير عام ٤١٢م كل من: الإمبراطور الغربى هانوريوس فى روما. والإمبراطور الشرقى ثيؤدوسيوس الثانى أو الصغير فى القسطنطينية...

وعندما تولى ثيؤدوسيوس الثانى العرش، بعد وفاة أبيه الإمبراطور أركاديوس عام ٤٠٨م. كان لم يتجاوز السبع سنوات من عمره. لذلك أصبحت أخته الكبرى بولكيريا هى الوصية عليه لحين بلوغه سن الرشد. ولكن فى الحقيقة هى التى حكمت بإسمه طوال حياته، وبعد وفاته أيضاً عام ٤٥٠م نظراً لضعف شخصيته(١).

وقد كانت بولكيريا شخصيه قوية وحازمة ومسيطرة. ولديها القدرة على حسم الأمور إلى جانب نذرها للتبتل والحياة الروحية الرهبانية ردحاً من الزمان فى قصر والدها... وهى التى إختارت لثيؤدوسيوس زوجته يودوكسيا. وهى أيضا التى لعبت الدور الرئيسى فى إنفصالهما بعد إشتداد المنافسة والنزاع بينهما... وبولكيريا هذه هى التى ناهضت البابا ديوسقورس ٢٥ (٤٤٤-٤٥٤).

أما الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى فكان رجلا تقياً، يمارس الأصوام والصلوات، ويدرس فى الكتاب المقدس كثيراً حتى حفظ أغلبه عن ظهر قلب.. وكان محباً للآباء الرهبان، فيرسل اليهم ليتبرك منهم ويستشيرهم فى أموره الخاصة. مثلما أرسل إلى آباء شيهيت الشيوخ ليطلبوا من الله أن يرزقه ولداً. فكتب اليه أحدهم وهو الأب ايسوذورس وأخبره أن الله لن يعطيه ولداً لئلا يشارك الهراطقة من بعده... إذ ألحت عليه أخته بولكيريا للزواج من إمرأة أخرى ليرزق منها ولداً ليرث الملك... فأرسل ثيؤدوسيوس رسوله إلى آباء شيهيت مرة أخرى ليأخذ رأى الأب إيسوذورس. الا أن هذا القديس كان قد تنيح بسلام. فأخذ الآباء رسول الملك عند المكان الذى يرقد فيه جسد الأب. ولما سألوه بماذا يكتبون للملك؟.. قام الشيخ إيسوذورس لوقته قال: ماقلته قبلاً أن الرب لن يرزقه ولداً حتى لو تزوج عشرة نساءً ثم عاد لرقاد موته... ولما عزم الرسول وإبنه الذى إصطحبه معه العودة. كان البربر يهاجمون البرية وذلك عام ٤٤٤م(٢).

(١) إدوارد جيبون: إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها جـ٢.
د. رأفت عبد الحميد: معالم العصور الوسطى.
(٢) يوسف حبيب: التسعة والأربعون شهيداً شيوخ شيهيت.

كما إهتم الإمبراطور ثيؤدوسيوس بإعادة رفات القديس يوحنا ذهبى الفم إلى القسطنطينية بكل إجلال وإحترام وإكرام. وكم بكى حينما شاهد رفات هذا القديس العظيم وطلب المغفرة لوالدية اللذين إضطهدا هذا الأب والمعلم وخطيب الكنيسة الأشهر(١).

البابا كيرلس وحكام مصر

بادر البابا كيرلس الكبير فور جلوسه على كرسى الإسكندرية بكتابة إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى، بمنحه البركه ويشرح له الإيمان المستقيم(٢).. وكان الإمبراطور وزوجته وأخته يجلّون البابا كيرلس ويقدرون شأنه. ورغم ماحدث منه فى أثناء إنعقاد مجمع أفسس تجاه البابا تحت ضغط ووشاية النساطرة، الا أن الإمبراطور أعطى للبابا كيرلس الكبير الحرية الواسعة فى تصريف الأمور تجاه المشاكل التى تعرضت لها مدينة الإسكندرية مع بداية حبريته. حتى قيل أن البابا كان يتحكم فى تاريخ مصر وإستقلالها. بل أطلق عليه البعض لقب «فرعون مصر»(٣).. ولعلهم يستندون على إمكانية البابا من إستصدار قراراً بطرد اليهود من الإسكندرية بعد أن قاموا بقتل المسيحيين بكل وحشية. الأمر الذى أثار المسيحيون، حتى أن قداسته لم يستطيع تهدئتهم الا بعد صدور هذا القرار الملكى.. كذلك الصراع مع حاكم مصر وقتئذ بسبب الوثنيين ومقتل الفيلسوفه الوثنية هباشيا، والتى غدر بها بعض الطائشين بدون ترو وبدون علم البابا كيرلس(٤).

ولاشك أن كنيسة الإسكندرية، كانت تدرك مدى مسؤلياتها الوطنية والقومية تجاه الشعب المصرى عامة، والأقباط خاصة. وأنها المنبر وقناة الإتصال مع الحكام البيزنطيين، من أجل تلبية إحتياجاتهم وحل مشاكلهم.

(١) يسطس الدويرى (المتنيح الأنبا ديوسقوروس أسقف المنوفية السابق): موجز تاريخ المسيحية.
(٢) د. مراد كامل: حضارة مصر فى العصر القبطى.
(٣) المرجع السابق.
(٤) د. السيد الباز العرينى: مصر البيزنطية.
القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية.
- يعتبر المؤرخ ثيؤدوريت (٣٩٣-٤٥٨) وأسقف كورش بسوريا هو الذى أطلق على البابا كيرلس لقب "فرعون مصر" و"فرعون الطاغية" ووصفه بالدكتاتورية والعنف والقسوة. بل واتهمه بقتل الفيلسوفة هباشيا بالتحريض. ولعل سبب عداوته للبابا كيرلس. أنه كان إبن عم نسطور البطريرك المبتدع وتلميذاً لثيودور

ومن ناحية أخرى نجد أن دور كنيسة الإسكندرية فى قيادة الفكر المسيحى واللاهوتى على مستوى المسكونة. ساهم بشكل كبير فى تأكيد دورها الوطنى، وإبراز شخصيتها المصرية القومية. وكان الأب البطريرك يشعر بهذه المسئولية الوطنية، ومعبراً عن رأى وفكر وحال المصريين جميعاً. وما أكثر الأمثلة التى تبين أن الحكام البيزنطيين أدركوا هذه الحقيقة، وكانوا يتعاملون مع البابا السكندرى بهذه الصفه أكثر من صفته أسقفاً لكنيسة الإسكندرية.. ونذكر هنا الإتهامات التى وجهت للبابا أثناسيوس الرسولى فى مجمع صور ٣٣٥م والتى نفى على أثرها. لم تكن تمس الإيمان أو البعد الكنسى، بقدر ما كانت إتهامات سياسية كمصرى. وفى مقدمة هذه الإتهامات أنه منع سفن القمح من الإبحار إلى القسطنطينية(١)... لذلك كان من الطبيعى أن يطلق البابا ثيؤفيلس ٢٣ على كنيسة الإسكندرية إسم « الكنيسة المصرية»

وكان القديسون البابا كيرلس الكبير والأنبا شنوده رئيس المتوحدين وإيسوذورس الفرمى لهم الدور الرائد فى العمل الوطنى ومناهضة مساوئ الحكم البيزنطى. فوالى مصر أوريتيس(٢) لم يستطع يواجه البابا كيرلس عندما إستصدر القرار الإمبراطورى بطرد اليهود من الإسكندرية. بل أرسل خطابات إلى الإمبراطورية يستاء فيها من تصرف البطريرك الذى تعتدى على إختصاصاته. ولكنه أدرك بعد ذلك قوة قداسة البابا وعمل على كسب وده والسلام معه(٣).

مساوئ الحكم البيزنطى

كان الحكم البيزنطى يستهدف إبتزاز ثروة مصر. فقد زادت الضرائب عنها أيام الحكم الرومانى. فساء حال الناس، وأصبح جمع الضرائب مهمة شاقة. ولم يتورع الموظفون من إستخدام مختلف أنواع القسوة لجمع الضرائب.. ولذلك أخذ الناس فى الإلتجاء إلى الصحراء هربا من المعاملة القاسية.

والمعروف أن دافعى الضرائب من المصريين كانوا من الملاك والفلاحون وأصحاب الحرف والمهن الحرة. وكانوا جميعاً يخضعون لضرائب مباشرة مختلفة (الخراج -الرأس- المهن).. وقد أثروا التخلى عن أراضيهم لعجزهم عن دفع ماتقرر عليهم من ضرائب جائرة. أو ترك أعمالهم وتجارتهم وصناعاتهم. ومنهم من لجأ الى الصحراء أو الإنخراط فى سلك الجيش

(١) راجع كتابنا: "الكنيسة تواجه الهراطقة. الجزء الأول: عصر البابا أثناسيوس الرسولى".

(٢) حكم مصر أثناء حبرية البابا كيرلس الكبير كل من: أوديستيس (٤١٥-٤٢٢) - كاليستوس (٤٢٢-٤٣٥) - كليوباترا (٤٣٥-٤٤٣)- خرموسينوس (٤٤٣-٤٥١).

أو الذهاب إلى الأديرة. مما ساهم فى تناقص عدد السكان فى القرى وتعرض الأراضى الزراعية للإهمال. ولما حاول البيزنطيون حل هذا الأمر بإدخال نظام السخرة العقارية الذى يعتبر ملاك الأراضى مسئولين عن دفع ماهو مقرر على الأراضى التى هجرها ملاكها من الضرائب، زادت المشكلة تعقيداً ولم تؤد إلا الى إزدياد الطغيان والظلم..(١) كما كانت توقع الغرامات والضرائب الإضافية، ثم تصادر الأملاك ويزج بهم فى السجن.

وكانت أكثر الإلتزامات تقع على عاتق صغار الملاك والفلاحين الذين يستأجرون الأراضى. حتى أن بعضهم كان يتنازل عن أراضيهم لجيرانهم الأثرياء ذوى النفوذ نظير الحماية لهم. وبمرور الوقت إزدادت الضياع الواسعه وأصبحت معظم أراضى الملاك الخاصة وجانب كبير من أراضى الدولة فى قبضة فئة صغيرة من كبار ملاك الأراضى(٢).

ويذكر أن ثروة مصر كانت فى حاصلاتها الزراعية وأهمها الحبوب والكروم والزيتون والنخيل. وكان الجزء الأكبر من هذه الحاصلات تدفع لتسديد الضرائب، وصدر الفائض عن الحاجة الى خارج البلاد.. لقد إعتبرت الحكومة البيزنطية مصر إقليماً كثير الخيرات. ينبغى إستغلاله إلى أقصى حد عن طريق إدارة إستغلالية منظمة. وبالتالى لم يهمهم أمر رخاء أهل وادى النيل. ولم يهمهم أمر الأمن فى الأرياف والنجوع.. لقد جر البيزنطيون على مصر الخراب بسياستهم الإستغلالية، وبتصرف موظفيهم. وكم كان لسخط الشعب المصرى وثوراته وللإضطرابات المستمرة فى العاصمة، والإضطهادات المتنوعة، أثرها الفعّال فى القضاء على الصناعة والتجارة(٣).

الأنبا شنوده يناهض البيزنطيين

لم يكن القديس العظيم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين رائداً فى الحياة الرهبانية وأحد مؤسسيها الكبار فقط. وإنما كان أيضاً رجلا وطنيا، يؤمن بمصريته التى تعيش فيه، مكرساً حياته للكنيسة والوطن، محباً لكل المصريين، يفهمهم ويقاسمهم أحزانهم والامهم، ويدافع عنهم وعن مصالحهم.

(١) المرجع السابق.

(٢) د. مراد كامل: حضارة مصر فى العصر القبطى.

كان الأنبا شنوده يناوئ الحكم البيزنطى ويناهضه فى كل أشكاله وأساليبه العقيمة. كان يعمل على بعث الروح القومية وتأكيد الشعور الوطنى لدى المصريين، الذين كان يقف على أحوالهم وظروفهم، وما وصلوا اليه من الضنك والفقر. كان الأنبا شنوده يفتح قلبه وديره للشعب كله لكى يسمع شكواهم ويلبى إحتياجاتهم وينكشف أمامه مدى الظلم والجور من قبل الحاكم والجنود والموظفين البيزنطيين والذين كان يدعوهم فى خطبة بالهيلينين (الإغريق) وذلك تميزاً عن المصرين سكان مصر(١).

كان القديس يندد فى خطبه بمظالم هذا الحكم ويكشف مساوءه وفساده أمام الناس الذين كان يبصرهم تجاه الإستعمار، ويدعوهم إلى التمسك بوطنهم ولغتهم وأرضهم. فكان يقول : (إن هؤلاء الحكام وجنودهم وموظفيهم، قد إمتلئت قلوبهم إثماً وزوراً وقسوة وطمعا وشحا. فهم لا يتطلعون إلا إلى ما كان فى غير إيديهم، حتى أصبحوا لا يتورعون من الجرى وراء كل ربح غير مشروع... هؤلاء الحكام أنفسهم هم الذين يسعون لإثارة الفتن والبعث. وهذا أمر هين على نفوسهم مادامو يكرهون الفقراء.. إن القسوة شديدة، والأرض تموج بالشرور، وغدا كل من إعتلى كرسى الحكم، لا هم له إلا إكتناز الفضة والنحاس... وأما جنودهم فهم يصيحون بالشكوى لحرمانهم من رواتبهم. وأنه لمشهد يرثى له أن يرى المرء جنديا يلتمس لنفسه نصيباً من القمح.. وكم من البلاء جرها هذا التصرف من قبل الحكام على الأقاليم التى يحمونها، إذ أن الجنود الذين يحرمون من رواتبهم، يسعون لالتماس ذلك بوسائلهم الخاصة. ومن ثم يسطون على المدن والقرى والمنازل والأكواخ والطرق والسفن والحدائق، وحتى الأديرة لاشئ يمكن أن ينجو من شر هؤلاء الجنود، وإذا حدّث المرء نفسه بإعتراض كان نصيبه الموت بحد السيف على أيديهم. وفى الحق إن القبائل المتبربرة لم تفعل شيئاً أكثر من هذا...)(٢).

وكان الأنبا شنوده لا يتردد فى الذهاب إلى الإمبراطور فى القسطنطينية أو مقابله الحكام وولاة مصر لرفع شكوى الشعب ويندد بالمسيئين ويطالبهم بحقوق المصريين وإنصافهم. ويحفظ لنا التاريخ ببعض الرسائل التى كان يرسلها القديس الأنبا شنوده إلى الحكام وأيضا العديد من خطبه الوطنية التى تبين مصداقية مصريته.

ومن منطلق بعث الروح والحركة القومية المصرية. قام الأنبا شنوده بتنقية اللغة القبطية من الألفاظ والكلمات اليونانية الإغريقية. ثم هذبها وصقلها وصنفها، حتى أصبحت لغة صالحة

(١) راجع كتابنا : القديس العظيم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين.

للكتابة، وإستخدمها فى كل خطبه وكتاباته ورسائله. وكان يطلب من المصريين إستخدام اللغة القبطية الوطنية والتمسك بها فى مناهضة اللغة اليونانية، لغة الإستعمار الذى كان يسعى لنشر لغته وثقافته لإخماد الروح القومية عند المصريين.

ولاشك أن كل مواقف الأنبا شنوده رئيس المتوحدين الكنسية فى مواجهة الهراطقة والدينية فى مقاومة الوثنيين والبيزنطيين، كانت لها الوازع الوطنى والتعبير عن الشخصية المصرية المستقلة، لذلك إرتبط به كل المصريين وأصبح لا يدانيه نفوذ أخر، وصارت له شعبية جارفة، حتى أن المؤرخ ورل Worrell عبر عن ذلك بقول: «إن الانبا شنوده أعجب شخصية أنجبها القبط فى عصر من العصور الطويلة، فإنه مؤسس المسيحية القبطية»(١).

٤ عمود الدين يواجه النسطورية

"كما سبق وأعد الرب يسوع أثناسيوس ليقحم أريوس ويقف فى وجهه. أعد أيضاً كيرلس ليقف فى وجه نسطور. وكما لعبت كلمة «أوموسيوس» دورها الكبير مع أثناسيوس، لعبت كلمة «ثيؤتوكوس» دورها كذلك مع كيرلس. فكان كيرلس جديراً بأن يكون خليفة أثناسيوس، لأنه أدرك غور البدعة النسطورية منذ نشأتها، كما أدرك أثناسيوس بعد البدعة الأريوسية"

المتنيح القمص بيشوى كامل

نسطور بطريرك القسطنطينية ٤٢٨ م

ولد نسطور فى ضواحى مدينة مرعش السورية. فى الربع الاخير من القرن الرابع من أبوين سوريين أو فارسيين. وهو إبن عم المؤرخ ثيؤدوريت أسقف كورش(١).. وقد درس اليونانية ومبادئ العلوم فى مرعش.. ثم ذهب الى أنطاكية.

وفى أنطاكية التحق بأحد الأديرة، وفيه تتلمذ لثيودوروس الذى أصبح أسقفا لبوبسوستيا فى كيليكيا – وهو تلميذ ديوروس الطرسوسى الذى أنشأ تقاليد المدرسة الأنطاكية وثبتها.

ويعتبر ثيودوروس أفضل من عبر عن فكر هذه المدرسة واتجاهها بالنظرة العقلية والمنطقية. كما أن لاهوتها يتركز فى ناسوت السيد المسيح بالدرجة الأولى. فقد إهتموا بإبراز كمال هذا الناسوت، ومالوا إلى الفصل بين الطبيعتين فى الرب يسوع(٢).

فى حين نجد مدرسة الإسكندرية اللاهوتية تركز فى لاهوت السيد المسيح وتؤكد حقيقة الإتحاد بين اللاهوت والناسوت. إنه إتحاداً تاماً وكاملاً وأنه سرى ولا يمكن إدراكة فالمسيح هو طبيعة واحدة (٣).

وبعد أن أتم نسطور دراسته، أختير شماساً فى كنيسة أنطاكية. ثم سيم كاهناً، وإستشهر بعظاته القوية وفصاحته وبلاغته ثم أصبح رئيساً للدير الذى ترهب فيه....

(١) أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى.

(٢) الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى: مذكرة علم اللاهوت المقارن. النسطورية.

(٣) ... المسكونى الثالث فى أفسس ... تعاليم ثيودوروس الذى كان ...

ولما خلى كرسى القسطنطينية بنياحة البطريرك سيسينيوس فى عام ٤٢٧م. قام الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى بإختيار نسطور ليكون بطريركاً لهذا الكرسى. فتمت سيامته فى ابريل من عام ٤٢٨.

بدعة نسطور

وحدث بعد فترة وجيزة من سيامته بطريركاً، أن القى القس أناستايوس – وهو صديق لنسطور وجاء معه من أنطاكية – عظة فى كنيسة القسطنطينية – وبحضور نسطور البطريرك – أنكر فيها تلقيب السيدة العذراء مريم بـ (والدة الإله – ثيؤتوكوس)(١) ودعاها بـ (والدة يسوع – كريستوكوس)!!!. فثارت الناس رفضة هذا الفكر الغريب. وطالبت البطريرك نسطور بالتدخل لحسم هذا الأمر سريعاً.

ولكن نسطور أيد صديقه القس فى أفكاره وتعاليمه. بل زاد عليها شرحاً وتفسيراً فقال: (إن الله روح ولا يمكن أن تلده إمرأة، والمخلوق يستحيل أن يلد غير المخلوق. إن مريم قد ولدت الإنسان الذى تجسد فيه الكلمة. وأما اللاهوت فلم يولد كالناسوت من مريم. فهى ليست والدة الإله (ثيؤتوكوس) وإنما هى أم يسوع (كريستوكوس). فلقد كانت الطبيعاتان الإلهية والإنسانية مفترقتين بكل وضوح. إنما كان هناك إقتران أو مصاحبة بينهما. أو سكنى اللاهوت فى الانسان نتج عنها إتحاد أخلاقى أو أدبى أو مشاركة عاطفية... إنى أفصل بين الطبيعتين فى المسيح. فهو إثنان. وهو أيضا إبنان: إبن لله وإبن مريم. وتارة إبن الله حين صنع معجزة. وهو إبن مريم عندما أكل أونام أو صلب أو مات...)(٢).

وكان لهذا التعليم المنحرف والغريب، ورفض طبيعة السيد المسيح الواحدة، ورفض لقب العذراء «والدة الإله» أثره السئ على الشعب فى القسطنطينية. حيث رفضوا هذه التعاليم وقاوموه بشدة، وعلقت على حوائط المدينة المنشورات التى ترفض تعاليم نسطور بل وتدينة وتعلن حرم كل من يفصل السيد المسيح إلى إثنين... وكان لرجال الإكليروس بفكرهم السكندرى الأرثوذكسى أشد مقاومة ومواجهة مع البطريرك الذى لم يبالى من المعارضة الكنسية والشعبية. بل قام بضرب الرهبان والكهنة وحبسهم. ولما لجأ الشعب إلى الإمبراطور. عقد نسطور مجمعاً عام ٤٢٩م وحرم جميع الذين لم يقبلوا تعاليمه(٣).

(١) يعتبر لقب العذراء مريم (والدة الإله – ثيؤتوكوس) مؤيداً من نصوص الكتاب المقدس. وجاء فى كل الليتورجيات التى تصلى بها الكنائس. كما أن آباء الكنيسة الكبار استخدموا هذا اللقب مثل أوريجانوس والبابوات الكسندروس وأثناسيوس الرسولى وكيرلس الكبير. وأيضاً باسيليوس الكبير وغريغوريوس الناطق بالالهيات.

(٢) الأنبا غريغوريوس أسقف ... تعاليم ثيودوروس ...

بدء الجهاد الكيرلسى

وجاءت أنباء هذه البدعة الخطيرة، وثورة القسطنطينيين ضد نسطور إلى الإسكندرية.. وشعر البابا كيرلس الكبير بالمرارة الشديدة فى أعماقه. وإجتاح الحزن قلبه إزاء هذه التعاليم المنحرفة. فقرر بحكم مسئوليته وأمانته أن يتصدى لهذا الفكر الهرطوقى، ويدافع عن الإيمان فى الرب يسوع المسيح، وعن الحقيقة الإيمانية أن العذراء هى والدة الإله. بل يدافع عن قضية الفداء وخلاص الإنسان، لأن هذه البدعة النسطورية الخطيرة هى هدم لأساسها.

ومن ثم إنتهز البابا كيرلس موعد رسالته الفصحية السنوية عام ٤٢٩م، والتى كان يرسلها إلى جميع كنائس العالم، بمناسبة عيد القيامة المجيد. ليكتب من خلالها الإيمان السليم، ويصحح أخطاء نسطور العقائدية دون أن يشير إليه صراحة. وتحدث فى هذه الرسالة وبكل وضوح عن كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت بغيراختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير. وأن هذا الإتحاد هو إتحاد تام كامل. وأعطى مثالاً لذلك بإتحاد النار بالحديد الذى حين يطرقه الحداد وهو محمى بالنار، يقع الطرق على الحديد دون النار مع كونها (النار) متحدة به (الحديد). وهذا الإتحاد لا يشوبه إختلاط أو إمتزاج أو تغيير. فالنار تظل محتفظة بطبيعتها النارية، والحديد يظل محتفظاً بطبيعته الحديدية(١).

وتحدث فى هذه الرسالة أيضا عن أحقية السيدة العذراء كوالدة للإله فقال: (إن اللوغوس (الكلمة) إتحد بالناسوت وولد من مريم. فمريم تدعى بحق والدة الإله، وإن لم تكن أصلا للاهوت أو مصدراً له. وكما أن نفس الطفل تولد متحدة بجسده على الرغم من أن النفس فى ذاتها لا تصدر ذاتيا عن الأم. ومع ذلك يصدق على الأم أنها والدة الطفل نفساً وجسداً. وهكذا يصدق على العذراء أنها والدة الإله. وإن لم تكن هى أصلا للاهوت الذى ولد منها متحداً بالناسوت.)(٢).

وكان لهذه الرسالة الفصحية أثراً طيباً فى كل المسكونه وأدخلت العزاء فى قلوب المؤمنين...

(١) القمص بيشوى كامل: القديس كيرلس الكبير.
راجع حول الموضوع: البابا شنوده الثالث: طبيعة المسيح.
القمص تادرس يعقوب: الإصطلاحان: طبيعة وأقنوم.

ثم كتب البابا كيرلس رسالة ثانية مطولة إلى الآباء رهبان ونساك مصر، يشرح فيها الحقيقة الإيمانية ان السيدة العذراء مريم هى والدة الإله... وأعتمد فيها على ما كتبه قبلاً البابا أثناسيوس الرسولى بهذا الخصوص. فقال فى الفقرة ٦ و٧ ما يلى:

[٦- وفى كل الأحوال، فإن أبينا أثناسيوس ذو الذكرى المقدسة زين كرسى كنيسة الإسكندرية على مدى ستا وأربعين سنة، ورتب معرفة رسولية وغير مغلوبة فى الحركة ضد سقطات الهراطقة غير المقدسين. وأبهج العالم جداً بكتاباته كرائحة عطرة جداً، والجميع يشهدون لدقة وتقوى تعاليمه.

٧- حينما الف لنا كتابه عن الثالوث القدوس ذى الجوهر الواحد، فإنه فى المقال الثالث منه - من البداية إلى النهاية - يدعو العذراء القديسة والدة الإله. وأنا سوف أستعمل بالضرورة كلماته هو نفسه التى هى كالأتى: «لذلك فإن غاية وخاصية الكتاب المقدس كما قد قلنا كثيراً، أنه يتضمن إعلاناً مزدوجاً عن المخلص، فإنه كان دائماً إلها وهو الإبن، إذ هو كلمة وإشعاع وحكمة الآب، وأنه فيما بعد، إذ إتخذ جسداً من العذراء مريم والدة الإله، من أجلنا، فإنه صار إنساناً](١).

غضب نسطور من رسالتى البابا كيرلس الكبير رغم أنه لم يذكر أسمه فيها، لانه أدرك هدف قداسة البابا من الشرح المستفيض للإيمان... وقد صور له كبرياؤه وغروره، أنه بهذا يتقوض مذهبه الذى يعتز به، والذى يرى فيه عبقريته ليكون نداً لعلماء كنيسة الاسكندرية. لذلك لم يحتمل الموقف، وكتب إلى البابا كيرلس رسالة يرفض فيها ماجاء فى رسالتيه، وأنه لايبالى بنصائحه.

ولكن البابا كيرلس بطول أناته ووعيه، كتب رسالته الأولى إلى نسطور رداً على الرسالة التى بعثها اليه. ويدعوه إلى إصلاح ما تكلم به لكى يوقف عثرة مسكونية. وأن يُعد بيانا لأولئك الذين تعثروا ويقول فيه بنفسه أن القديسة العذراء مريم هى والدة الإله. لانه بمعالجته أمر الذين حزنوا، وأن يصير له تعليما صحيحاً فى نظر الكل، عندئذ يجتمع الشعب فى سلام وفى وحدة الروح(٢).

وعاد البابا كيرلس وكتب فى فبراير من عام ٤٣٠م رسالته الثانية إلى نسطور، والتى عرفت بالرسالة العقائدية لأنها تحمل شرحاً لتعاليم مجمع نيقية المسكونى حول

تجسد الكلمة من العذراء[١].. وقد أكد له فيها (أنه من أجل خلاصنا وحدّ الطبيعة بنفسه أقنومياً، وولد من إمرأة، فإنه بهذه الطريقة يقال أنه قد ولد جسدياً، لانه لم يولد أولاً إنساناً عادياً من العذراء القديسة ثم بعد ذلك حل عليه الكلمة. بل إذ قد إتحد بالجسد الذى من أحشائها. فيقال أن الكلمة قد قبل الولادة الجسدية، لكى ينسب إلى نفسه ولادة جسده الخاص)[٢].

ولكى يضمن البابا وصول هذه الرسالة إلى نسطور، أرسلها مع مندوبيه من الآباء الأساقفة.. إلا أنهم مكثوا نحو شهراً فى القسطنطينية وحاولوا مقابلة نسطور أو أن يتحدثوا اليه، ولكنه رفض مقابلتهم أو حتى السماع لهم[٣].

المجمع الإسكندرى الأول سنة ٤٣٠م

بعودة الوفد البابوى من القسطنطينية بدون نتائج. ومع فشل كل المحاولات التى بذلها البابا كيرلس الكبير لأثناء نسطور عن تعاليمه وأفكاره الخاطئة، وعودته إلى الإيمان السليم. وإزاء تعنت هذا البطريرك المبتدع المعاند..

عقد البابا كيرلس مجمعاً إقليمياً فى الاسكندرية عام ٤٣٠م حضره جميع أساقفة الكرازة المرقسية، للنظر فى بدعة نسطور التى تهدد إيمان الكنيسة. وعرض قداسة البابا على أعضاء المجمع المقدس كافة التفاصيل والرسائل المتبادلة بينه وبين نسطور.

وبعد مناقشات كثيرة وعميقة أصدر المجمع المقدس لكنيسة الاسكندرية وبرئاسة البابا كيرلس ما يلى من قرارات:

١- إدانة نسطور الهرطوقى وشجب تعاليمه

٢- التمسك بقانون الإيمان الذى أقره مجمع نيقية عام ٣٢٥م. وما إستكمله مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م.

٣- إضافة مقدمة لقانون الإيمان تشمل عقيدة الكنيسة بخصوص السيدة العذراء مريم والدة الاله. وقد كتبها البابا كيرلس الاول بنفسه وهذا هو النص: (نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء والدة الإلـه، لأنك ولدت لنا مخلص العالم. أتى وخلص نفوسنا.

(١) إعتمد المجمع المسكونى الثالث فى أفسس عام ٤٣١ هذه الرسالة. ووافق عليها جميع أساقفة العالم على حدة، ومنهم لاون أسقف روما عام ٤٥٠. كما اقرها مجمع خلقدونية عام ٤٥١، ومجمع القسطنطينية الثانى عام ٥٥٣.

(٢) مركز دراسات الآباء: رسائل القديس كيرلس. الجزء الأول. الرسالة الرابعة

المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح. فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا. نكرز ونبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد. نسجد له ونمجده يارب إرحم. يارب بارك. امين)[١].

وبعث البابا كيرلس بقرارات مجمع الإسكندرية إلى جميع أساقفة العالم، وإلى سفراء الكنيسة المصرية فى القسطنطينية... وفرح الشعب هناك بهذه الخطوة الإيجابية من قبل كنيسة الاسكندرية. وأرسلوا خطابات إلى قداسة البابا يعبرون له فيها عن مدى فرحتهم وشكرهم له واجهده فى حفظ الإيمان وحمايته.

مجمع روما الإقليمى

كما كتب البابا كيرلس رسالة إلى كلستينوس الأول أسقف روما (٤٢٢ -٤٣٢) يشرح له فيها بدعة نسطور وخطورتها على الإيمان المسيحى، وكشف ما بها من غموض وخبايا. ومدعما إياها بوثائق تجديف نسطور وفساد تعليمه[٢]... وذلك خوفاً أن يخدع أسقف روما من رسائل نسطور اليه، والتى أرسلها محاولاً أن يكسبه إلى جانبه.

وعلى الفور عقد البابا الرومانى كليستينوس الأول مجمعاً إقليميا فى روما، حضره جميع أساقفته، وناقشوا رسالة البابا كيرلس الكبير ومسألة نسطور وبدعته.. وفى النهاية قرر المجمع المقدس لكنيسة روما إعطاء نسطور فرصة لمدة عشرة أيام من تاريخ إستلامه القرار، ليرجع عن تعاليمه ومعتقده، والا يكون محروماً ومقطوعاً من شركة الكنيسة.

ثم أرسل أسقف روما رسالة رائعة إلى البابا كيرلس الكبير بشكره على يقظته ودفاعه عن الإيمان فقال: (ونحن نفرح أن مثل هذه اليقظة توجد فى تقواكم، حتى أنكم تفوقتم على أمثلة سابقيكم الذين كانوا دائما أنفسهم مدافعين عن التعليم المستقيم... ونحن نخبرك كمدافع قوى جداً لتثبيت الإيمان أن كل شئ كتبته قداستكم بخصوص هذا الأمر قد سلم الينا. لقد عريت كل فخاخ التعليم الغادر، وقويت الإيمان)[٣].

وكان بابا روما قد أرسل قرار كنيسته إلى القسطنطينية فى ١١ أغسطس ٤٣٠م. ولكن نسطور رفض هذا القرار، معتمداً على تأييد الإمبراطور له، إذ وافقه على أنه لا يجوز إستعمال كلمة ثيوتوكوس (والدة الإله) !!! وهذا جعل البابا كيرلس الكبير يكتب رسائل إلى الإمبراطور وإلى زوجته وإلى أخواته ولا سيما بولكيريا يشرح لهم إيمان الكنيسة فى التجسد. وأن العذراء مريم هى والدة الإله.

(١) هذا النص هو الذى تصلى به كنيستنا إلى اليوم كمقدمة لقانون الإيمان.

مجمع الإسكندرية الثانى = الرساله الثالثه (حرومات ١-١٢)

إزاء إصرار نسطور على بدعته وتعاليمه، ورفضه إيمان الكنيسة الرسولية الجامعة المقدسة. ورفضه لكل المحاولات من قبل أسقف روما. عقد البابا كيرلس الكبير مجمعاً إقليميا آخر لأساقفة كنيسة الإسكندرية، وذلك فى ٣٠ نوفمبر عام ٤٣٠م وقرر ما يلى:

١- التمسك بقرارات مجمع الإسكندرية الأول

٢- مطالبة نسطور بالتوقيع على رسالة البابا كيرلس الكبير الثالثة إليه(١) وأيضاً التوقيع على الاثنى عشر حرماً الملحقة بالرسالة. ليعلن بذلك أرثوذكسيته لجميع المؤمنين فى المسكونة

وأرسل قداسة البابا وفداً قبطيا من أربعة أساقفة إلى القسطنطينية يحمل قرارات المجمع والرسالة الثالثة والحرومات الاثنى عشر لمقابلة نسطور شخصياً. كما حملوا نسخة من هذه الرسالة إلى أكليروس وشعب كنيسة القسطنطينية، ونسخه ثالثه إلى الآباء الرهبان هناك.

وهذه الرساله عرفت بالرسالة المجمعية وهى تعتبر من أهم رسائل البابا كيرلس الكبير، حيث يعرض فيها العقيدة الأرثوذكسية. وقد قرئت فى مجمع أفسس عام ٤٣١م ومجمع خلقيدونية عام ٤٥١. وفيها شرح الإتحاد بين اللاهوت والناسوت، مؤكداً أن المسيح بعد الاتحاد طبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين وخواصهما. وهنا يكتب البابا كيرلس الكبير عبارته المشهورة: (طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد)(٢).

أما الحرومات الاثنى عشر فتعتبر تحديداً واضحاً وصريحاً وبكل دقة للإيمان الارثوذكسى فى التجسد الإلهى وهذا نصها:

(١- من لا يعترف أن عمانوئيل هو الله بالحقيقة، وبسبب هذا فالعذراء هى والدة الإله، «لأنها ولدت جسدياً الكلمة الذى من الله، الذى تجسد»، فليكن محروماً.

٢- ومن لا يعترف أن الكلمة الذى من الله الآب قد إتحد بالجسد أقنومياً، وهو مع جسده الخاص مسيح واحد، وأنه هو نفسه بوضوح إله وإنسان معاً، فليكن محروماً.

٣- من يقسم بعد الاتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين ويربط بينهما فقط بنوع من الإتصال حسب الكرامة، أى بواسطة السلطة أو القوة وليس بالحرى بتوحيد هما الذى هو حسب الإتحاد الطبيعى، فليكن محروماً.

٤- من ينسب الأقوال - التى فى الأناجيل والكتابات الرسولية سواء تلك التى قالها القديسون عن المسيح أو التى قالها هو عن نفسه - إلى شخصين أى إلى أقنومين، ناسبا بعضهما

(١) مركز دراسات الآباء: رسائل القديس كيرلس. الجزء الأول. الرسالة رقم (١٧).

كما إلى إنسان على حده منفصلاً عن كلمة الله، وناسبا الأقوال الأخرى، كملائمه لله، فقط إلى الكلمة الذى من الله الآب وحده، فليكن محروماً.

٥- من يتجاسر ويقول أن المسيح هو إنسان حامل لله وليس بالحرى هو الله بالحق، والإبن الواحد بالطبيعة، إذا أن الكلمة صار جسداً وإشترك مثلنا فى اللحم والدم، فليكن محروماً.

٦- من يتجاسر ويقول أن الكلمة الذى من الله الآب هو إله وسيد للمسيح، ولم يعترف بالحرى أنه هو نفسه إله وإنسان معاً، حيث أن الكلمة صار جسداً حسب الكتب، فليكن محروماً.

٧- من يقول أن كلمة الله كان يفعل فى يسوع المسيح كإنسان، وأن مجد الوحيد قد نسب اليه، كأنه أخر غيره ، (كما لو كان الوحيد منفصلاً عنه) فليكن محروماً.

٨- من يتجاسر ويقول أن الإنسان الذى إتخذه الكلمة ينبغى أن يسجد له مع الله الكلمة، ويمجد معه ويسمى معه الله، كما لو كان الواحد فى الآخر، لأن لفظة (مع) التى تضاف دائماً تفرض أن يكون هذا هو المعنى، ولا يكرم عمانوئيل بالحرى بسجدة واحدة، ولا يرسل له ترنيمة تمجيد واحدة، لكون الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً.

٩- من يقول أن الرب الواحد يسوع المسيح قد تمجد من الروح، وأن الرب كان يستخدم القوة التى من الروح، كما لو كانت خاصة بقوة غريبة عنه، ويقول أن الرب قبل من الروح القوة للعمل ضد الأرواح النجسة ويتمم العجائب بين الناس ولا يقول بالحرى أن الروح خاص به، والذى به عمل المعجزات، فليكن محروماً.

١٠- يقول الكتاب المقدس أن المسيح هو رئيس كهنة ورسول إعترفنا، وإنه قدم نفسه من أجلنا رائحة طيبة لله الآب. لذلك فمن يقول أن رئيس كهنتنا ورسولنا ليس هو نفسه الكلمة الذى من الله حينما صار جسداً - إنسانا مثلنا، بل أن هذا الإنسان المولود من المرأة هو آخر على حده غير كلمة الله، أو من يقول أنه قدم نفسه كذبيحة لأجل نفسه أيضا وليس بالحرى لأجلنا فقط (فهو لا يحتاج إلى ذبيحة لأنه لم يعرف خطية)، فليكن محروماً.

١١- من لا يعترف أن جسد الرب هو معطى الحياة وهو يخص الكلمة الذى من الله الآب، بل يقول أنه جسد لواحد أخر غيره، وأنه مرتبط به بحسب الكرامة، أى حصل فقط على حلول إلهى، ولا يعترف بالحرى أن جسده معطى الحياة كما قلنا لأنه صار جسد الكلمة الخاص به، الذى يستطيع أن يهب الحياة لكل الأشياء، فليكن محروماً.

١٢- من لا يعترف أن كلمة الله تألم بالجسد (فى الجسد) وصلب بالجسد (فى الجسد) وذاق الموت بالجسد (فى الجسد)، وصار البكر من الأموات حيث أنه الحياة، ومعطى الحياة كإله، فليكن محروماً)(١).

ولم يكتف البابا كيرلس الكبير بذلك بل كتب رسائلاً كثيرة إلى أساقفة الكنائس فى العالم وإلى الآباء الكهنة والرهبان والشعب فى القسطنطينية والإسكندرية وإلى رهبان مصر ونساكها(٢).

الجبهة النسطورية

أما نسطور فرفض التوقيع على رسالة البابا كيرلس الكبير وعلى الحرومات الاثنى عشر. بل تجاوز عناده إلى الإصرار على محاربة البابا كيرلس الكبير والنيل منه. وقال جهراً: «إن كيرلس ليس سوى مصرى عنيد، وفرعون طاغية، يجب التغاضى عن نصائحه»(٣).

وأستغل نسطور ضعف شخصية الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى ونجح فى إستثارته ضد البابا كيرلس الكبير، حيث صور له أن الرسائل التى سبق وأرسلها البابا كيرلس إليه وإلى زوجته وإلى إخوته الأميرات، وبكل ما فيها من تفاصيل لاهوتية، ليست إلا بهدف بذر بذور الشقاق بين أفراد العائلة الإمبراطورية، لفرض رأيه وفكره عليهم.. كما أوعز اليه أن البابا كيرلس هو سبب كل المشاكل والفتن والمتاعب التى تعانى منها الدولة والكنيسة حالياً... وهذا الأمر دفع بالإمبراطور بإرسال إنذاراً إلى البابا كيرلس يهدده فيه بإضطهاد مرير.

كما إستطاع هذا البطريرك المبتدع العنيد أن يكسب إلى جانبه يوحنا بطريرك أنطاكية وعدد كبير من أساقفته منهم أندراوس أسقف ساموساطه الذى الف كتاباً ضد البابا كيرلس وحروماته. والمؤرخ ثيودوريت أسقف كورش والذى كتب حرومات اثنى عشر مناهضة لحرومات البابا كيرلس الكبير إلى جانب كتاب عن تجسد الكلمة. وأيضا إيبا أسقف الرها الذى كتب رسالة يدافع فيها عن نسطور(٤).

وهكذا تأزم الموقف تماماً بين معارض ورافض لتعاليم نسطور المنحرفة وبين مؤيد له. فكان لابد من حل لهذه المشكلة التى أثرت فى كنائس العالم أجمع..

(١) مركز دراسات الآباء: رسائل القديس كيرلس. الجزء الأول. الرسالة رقم (١٧).

(٢) راجع المرجع السابق بجزئيه الأول والثانى.

٥ مجمع أفسس المسكونى الثالث

كان البابا كيرلس الكبير وعامود الدين، يدرك خطورة الموقف وأثر هذه البدعة فى الإيمان المسيحى، وخاصة أن كثيرين من أساقفة الشرق قد أخذوا بتعاليم نسطور المبتدع.. ولذلك أرسل إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى يطالبه بدعوة إلى مجمع عام لوضع حداً لهذه المشكلة، وجاء فى رسالة قداسته: (إن آبائك كانوا غيورين على الكنيسة مؤيدين لها مدافعين عن عقائدها، وقد عاونوا رجالها فى تثبيت الإيمان الأرثوذكسى الصحيح، فنالوا منهم البركة. وها إنه فى عهدكم الزاهر، قد ظهر نسطور هذا الذى يريد أن يشتت البيعة بضلاله.. لهذا نسأل جلالتكم أن تأمروا بعقد مجمع عام للنظر فى موضوع هذا الرجل، فندعو لك، ونبارك ملك)(١).

وأستقبل الإمبراطور رسالة البابا كيرلس الكبير بإرتياح، إذ كانت رغبته أيضا فى إنهاء هذا التوتر السائد بين الكنائس. وعليه وافق على فكرة عقد المجمع المسكونى، وأرسل دعوته إلى جميع أساقفة العالم لحضور هذا المجمع فى مدينة أفسس على أن يبدأ يوم عيد حلول الروح القدس الموافق ٧ يونيو عام ٤٣١م. محذراً إياهم ضد أى تأخير أو تخلف عن الحضور.

توافد الأساقفة على أفسس

لم يكد البابا كيرلس عمود الدين يتسلم دعوة الإمبراطور، لحضور المجمع، حتى بادر بالسفر إلى مدينة أفسس(٢). وبرفقته خمسين أسقفا مصرياً. والقديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والقديس الأنبا بقطر رئيس الأديرة الباخومية. وسكرتيره الشماس ديوسقوروس.

وخلال الرحلة البحرية وصل البابا كيرلس الكبير والوفد السكندرى المرافق له إلى جزيرة رودس. ومن هناك كتب رسالة إلى إكليروس وشعب الإسكندرية، يطمئنهم عن رحلته، ويطلب صلواتهم حتى يعينه الرب لوضع الأمور فى نصابها ووقف كل نزاع (٣).

(١) القمص كيرلس الأنطونى : عصر المجامع.

(٢) أفسس مدينة ساحلية فى آسيا الصغرى وقد اشتهرت بهيكلها الوثنى للإله إرطاميس، وكان لها ميناء كبير. وقد بشر فيها القديس بولس الرسول ومكث بها نحو سنتين وكتب رسالة إلى أهلها. وبنى [illegible]